المكتبة العالمية للفتيان والفتيات



لويزا ماي ألكوت

نساء صغيرات

دار العلم للملايين

المَكتبَة العَالميّة
للفِتيَان والفتيَات

نساء صغيرات

لويزا ماي ألكوت

طبعة جديدة مَزيدة ومنقَّحة
ومُرفقة بمجموعة من الأسئلة المنهجيَّة والمفيدة

دار العلم للملايين

١

دار العلم للملايين

شارع مار الياس ـ بناية متكو ـ الطابق الثاني
هاتف 306666 1 (961) + ـ فاكس: 701657 1 (961) +
ص.ب.: 1085-11 بيروت 2045 8402 ـ لبنان
Internet site: www.malayin.com
e-mail: info@malayin.com

طبع في لبنان

Mar Elias street, Mazraa
P.O.Box: 11-1085
Beirut 2045 8402 LEBANON
Original Title: Little Women

٢ ٣ ٤ ٥ ١٢ ١١ ١٠ ٠٩

الفصل الأوّل

أسرة مارش

قالت جو متذمِّرةً وهي تضطجعُ على البساط: «لا يكونُ عيدُ الـميلاد عيدًا من دون هدايا.» تنهَّدت ميغ وهي تنظر إلـى ثوبها الرَّثِّ القديـمِ قائلة: «إنَّه لأمرٌ بغيضٌ أن نكون فقيرات.» أضافت الصَّغيرة إيـمي بشهقةٍ مكلوم: «ليس من العدل أن يكون لبعض الفتيات الكثيرُ من الأشياء الـجميلة، فيما تفتقر الأُخريات إلـى كلِّ شيء.»

قالت بيث قانعة: «أدام اللَّه أبانا وأمَّنا وأدامَ بعضنا لبعض.»

أشـرقت وجـوه الـفـتـيـات الأربعِ بـرهـة لـهـذه الـكـلـمـات الـمُشجِّعة، ولكنَّها عادت فاكتأبت عندما قالت جو بحزنٍ: «إنَّنا نفتقدُ أبانا وقد نُحرَمُ رؤيتَهُ لوقتٍ طويل.»

لـم تقل: «وقد لا نراه أبدًا.» لكنَّ هذه العبارة دارت في خلد كلِّ واحدة منهنَّ وهنّ صامتات. ران الصَّمت عليهنَّ لدقيقة، غيَّرت بعدها ميغ الـحديث قائلة: «أنتنَّ تعرفنَ السَّبب الذي جعل والدتي تقترح عيد الـميلاد هذا بلا هدايا. فنحن سنواجه شتاءً قارسًا، وينبغي ألّا نُبذِّرَ النقود على الـمسرّاتِ، فيما يواجه رجالُنا الـمكاره في الـجيش. علينا أن نقدِّم تضحياتٍ صغيرةً عن طيب خاطر.»

كانت الصَّغيرات يأخذن مصروفًا يوميًّا ضئيلاً لا يتعدَّى دولارًا واحدًا. وما كانت أمُّهنَّ لتطلب إليهنَّ أن يتبرَّعْنَ بهذا النَّزر اليسير. فقد كنَّ يُكابِدْنَ في أعمالهنَّ من أجل الـحصول على هذه النُّقود القليلة، مثل تعليم الأولاد الـمُضجِرين، أو خدمة سيِّدةٍ عجوزٍ لـحوحٍ لا يعجبها العجب، أو غسل الصُّحون وترتيب الـمنزل، أو الذَّهاب إلى الـمدرسة مع بناتٍ يسخرْن من ملابس الفقيرات.

قالت ميغ مواسيةً، وهي لا تزال تتذكَّر أيّامًا سعيدة مرَّت بهنَّ: «هل تتمنَّينَ أن تحصلن على النّقود التي أضاعها والدنا عندما كنَّا صغيرات؟ سنكون سعيدات وفي أفضل حال يا حبيباتي، إذا خلت الـحياة من الـمنغِّصات.»

جلست الأخوات الأربعُ يحِكْنَ شيئًا على ضوء الشَّفق، فيما كان ثلج كانون الأوّل يتساقط بهدوء، والنَّار تتأجَّج داخل الغرفة القديـمة والـمريحة رغمَ بساطة أثاثها. كانت هناك لوحة أو اثنتان معلَّقتان على الـحائط، وكتبٌ تـملأ فجوات الـجدار، وأزهار عيد الـميلاد تتفتَّح في النَّوافذ، فيما يُخيِّم جوٌّ من السَّكينة.

كانت أكبرهنَّ، مارغريت، في السَّادسةَ عشرةَ من عمرها، جميلةً مـمتلئةً، لها عينان واسعتان وشعر بنّيٌّ ناعمٌ وغزيرٌ، ولها فمٌ عذبٌ ويدان بيضاوان تزهو بهما. وكانت جو، ابنة الـخامسة عشرة، طويلة، نحيلةً، بنّيَّة الشَّعر يذكِّرنا شكلها بالـمُهر لطول أطرافها. لها فمٌ صارمٌ وأنفٌ مضحكٌ وعينان رماديَّتان حادَّتان. وكان شعرها الطَّويل الغزير أجملَ ما فيها، تربطه عادة بشبكة. وكان لها كتفان مستديرتان، ويدان وقدمان كِبارٌ. كانت تنظر باستخفاف إلـى ملابسها، وكان مَنظرُها غيرَ مريحٍ كفتاةٍ تتحوّل بسرعةٍ، كارهةً، إلـى سنِّ النُّضج.

أمَّا إليزابيث، أو بيث كما يدعوها الـجميع، فهي في الثَّالثةَ عشرةَ من عـمرهـا، ذاتُ شعـر ورديٍّ نـاعـم وعينين مشرقتين. وكانت تتحلَّى بطبع خجول وصوت حَيِيٍّ، وتعبيرٍ رقيق. وكانوا

يسمُّونها تـحبُّبًا «ماوس» (الفأرة)، أمَّا والدُها فكان يدعوها، الهادئة الصَّغيرة، وهي تسميةٌ كانت تُناسِبُها فِعْلاً.

أمَّـا صغرى الشقيقات، إيـمي، فقد كانت تعتبر نفسها الأكثرَ أهمِّيّة من بينهنَّ. كانت ذاتَ بشرة بيضاءَ كالثَّلج، وعينين زرقاوين، وشعر أصفرَ مـجعّد يُلامِسُ كتفيها. وكانت تنظر إلى نفسها على أنَّها شابّةٌ تعي ما تفعل.

دقّت السَّاعةُ السَّادسةَ، وراحت كلٌّ واحدةٍ منهنَّ تقوم بعمل ما، فأمُّهنَّ على وشك الـمجيء، وعليهنَّ أن يرحِّبنَ بها أيّما ترحيب.

قالت جو: «ينبغي أن تـحصل أمّي على زوجٍ جديدٍ من الـجوارب.»

وقالت بيث: «عليَّ أن أعطيها جُزءًا من مصروفي.»

تأثَّرَتْ إيـمي قائلة: «كلّا. أنا التي سأعطيها...»

قالت ميغ: «أنا الكبرى.»

فقاطَعتها جو قائلة: «أنا رجل العائلة الآن! أبي مسافر، وقد أوصانـي قبل رحيله أن أعتنيَ بوالدتي.»

قالت بيث: «لا ينبغي أن نختلفَ في هذه الـمناسبةِ السَّعيدةِ. فكلٌّ واحدةٍ منَّا ينبغي أن تـمنحها شيئًا في عيد الـميلاد.»

وراحت كلٌّ واحدة منهنَّ تعلن عن هديَّتها: هذه قفّازٌ، وأخرى حذاء، والثالثة منديلٌ، والرابعة زجاجة عطر. واتَّفقن على أن يُفاجِئْنَ أمَّهنّ بـما سيقدِّمن لها.

دخلت الأمُّ وكانت سيّدةً طويلة القامة، نبيلة الـملامح.

قالت الأمُّ بحبور: «كم أنا سعيدةٌ لـمرحكنّ يا بناتي.. كيف حالُكنَّ اليوم؟» وبعد أن تفقّدتْهنَّ واحدةً واحدة، قالت: «هيّا، لدينا الكثير لنفعلَه اليوم.» وما إنْ جلست على كرسيِّها لِتستَريحَ حتَّى راحت الفتيات يتنقَّلن ما بين الردهة والـمطبخ لتحضير العشاء. وعندما اجتمعن حول الـمائدة قالت الأمُّ بسعادةٍ:

«عندي لكنَّ مفاجأةٌ بعد العشاء.»

وتعالت صيحات الفتيات يعبِّرن عن فرحهنَّ: «رسالةٌ من والدِنا!»

قالت الأمُّ: «نعم رسالةٌ طويلة رائعة. إنَّه بخير، وسيُمضي فصل الشتاء البارد على ما يرام. وهو يهديكُنَّ أطيب تـمنِّياتِهِ بِعيد الـميلاد.»

سألت بيث: «متى سيعود إلينا يا أمّاه؟»

ـ «لن تطول غيبتُه كثيرًا يا حبيباتي. سيبقى ليؤدّي واجبه بأمانة، ولن نطلب منه أن يحضر قبل الأوان.»

قالت الأمُّ: «والآن إليكنَّ الرسالة.»

وتحلَّقت الفتيات حولها بلهفة. كانت رسالةً تحمل البهجة والأمل، وتتحدَّث بوصفٍ حيٍّ عن حياته في المعسكر. وبقلبٍ مفعمٍ بالحبِّ يخاطب زوجته قائلاً:

«امنحيهنَّ خالص حبِّي وقبلاتي. قولي لهنَّ إنَّني أفكِّر فيهنَّ في النهار وأصلِّي من أجلهنَّ في الليل، وأجد راحتي الخالصة بمحبَّتهنَّ في كلِّ الأوقات. إنَّ فترة سنة لَهِي طويلة جدًّا حتَّى أراهُنَّ. وذكِّريهنَّ أنَّه خلال الانتظار، يمكننا جميعًا أن نعمل، وعندما أعود إليكنَّ سأكون أكثر فخرًا ببناتي الصغيرات.»

وفيما كنَّ يبكين شوقًا ولهفةً إلى رؤيتِهِ سالمًا، وهنَّ يسمعن الرسالة، تَعاهدن جميعًا على أن يكُنَّ عند حسن ظنِّ أبيهنَّ. أمَّا الأمُّ، فقد راحت تحنو عليهنَّ، وتُذكِّرهنَّ بقصص جميلة من ذكريات طفولتهنَّ.



الفصل الثاني

عيد ميلاد سعيد

كانت جو أوَّلَ من استيقظ صبيحة عيد الميلاد. وسرعان ما صحَتْ أخواتُها الأُخريات ليُفاجَأْن بهدايا أمِّهنَّ: لكلِّ واحدةٍ منهنَّ كتابٌ مختلفٌ في موضوعِهِ ولونِ غلافِه. ويُهرعن إلى الأسفل فلا يجدنها. وتخبرهنَّ حنَّة، ربيبة المنزل التي كانت بمثابة صديقةٍ لهنَّ أكثر ممَّا هي خادمةٌ، أنَّ أمَّهنَّ خرجت لإحضار بعض الأشياء وستعود حالاً. وبينما راحت كلُّ واحدة منهنَّ تتفقَّد هديَّتها لأمِّها عادت الأمّ.

صِحْنَ بصوتٍ واحد: «عيد ميلاد سعيدٌ يا أمّاه! كلُّ عامٍ وأنت بخير. نشكرُ لكِ هديَّتكِ. سنقرأ فيها كلَّ يوم.»

قالت الأمُّ: «عيد ميلاد سعيد يا صغيراتي! أشكرُ لكنَّ اهتمامكنَّ بذلك. ولكنَّني أريد أن أقول شيئًا: في مكانٍ غيرَ بعيدٍ عن هنا تقبع امرأةٌ مع طفلها الرَّضيع. عندها ستَّة أطفال يتزاحمون في سريرٍ واحدٍ كي لا يتجمَّدوا من البرد، فالبيت يفتقر إلى مدفأةٍ، ولا يجدون طعامًا يأكلونه. فهل لكنَّ يا بناتي أن تفعلنَ خيرًا وترسلن إلى هذه الأسرة إفطارنا في عيدِ الميلادِ هذا؟»

لاذت الفتيات بالصَّمت، فقد كُنَّ جميعهنَّ جائعات.
أخيرًا صاحت جو: «إنَّني سعيدةٌ للغاية لأنَّكِ حضرت قبل أن نبدأ!»

وراحت كلٌّ واحدةٍ منهنَّ تعلن عمَّا ستحمله إلى تلك الأسرة الفقيرة من الطَّعام. قالت السيِّدة مارش وقد ارتسمت على وجهها علامات الرضا: «كنت أعلم أنَّكُنَّ ستفعلن ذلك. فلنذهب جميعًا، وعندما نعود سيكون لدينا خبزٌ وحليبٌ للإفطار، نرجئهما إلى موعدِ الغداء.»

وسار الجميعُ إلى تلك الأسرة الفقيرة التي كانت تسكن في غرفةٍ بائسةٍ ذاتِ نوافذَ مكسورة. وفي وسط هذا المكان

البارد أمٌّ مريضةٌ في حضنها رضيعٌ ومجموعةٌ من الأطفال الجياع.

صاحت المرأة الفقيرة بدموع الفرح وهي ترى مارش وبناتها: «آه، ملائكة الرَّحمة هبطت علينا!»

وسرعان ما ساد هذا المكان البائس سعادةٌ غامِرةٌ، حيث راحت كلٌّ واحدة من الفتيات تقوم بعمل يُدخل الدِّفء والحنان إلى قلب هذه الأسرة الفقيرة. ولم يشعرنَ في يوم من الأيّام بمثل تلك السَّعادة، رغم أنَّهنَّ لم يذقنَ شيئًا من الطَّعام الذي حملْنَه.

قالت ميغ بعد أن عدن إلى المنزل: «ما أجمل أن نُؤْثِرَ جيراننا على أنفسنا.»

وراحت الفتيات يجمعن هداياهنَّ لمفاجأة أمِّهن. ودخلت الأمُّ، فتعالَتْ صيحاتهنَّ بأطيب التمنِّيات.

كانت الأمُّ مأخوذةً، بسعادةٍ غامرةٍ لما تُقدّمه لها بناتها من هدايا، وبما يقمن به من تحضيراتٍ احتفالاً بِعيد الميلاد. فقد استعضن عن الذَّهاب إلى المسرح بتحضير مسرحية «لغة

السِّحر» وقمن بأدائها وتـمثيلها بعدما توزَّعن الأدوار فيما بينهنَّ.

وحـان وقت العشـاء. كـان العشـاء مفـاجِئًـا! لقـد كـانت الـمـائدة عـامرة بـأصنـاف الـحلوى والـمعـجَّنـات والـفـواكهِ والورود.

قالت إحداهنَّ بدهشة: «هل هذا سحرٌ؟!»

ووضعَتِ الأمُّ حدًّا لدهشتهنَّ وتساؤلاتهنَّ: «إنَّها هديَّة العجوز لورنس! لقد أخبرتْ حنَّة أحدَ خدمِهِ عن حفلة الإفطار هذا الصباح، وهذا ما سرَّه كثيرًا. وقد أرسل لـي ملاحظةً اليوم يقول إنَّه يودُّ أن يعبِّر عن مشاعره نحو بناتي ببعض الهدايا احتفالاً بـمناسبة الـميلاد.»

أبدت الفتيات إعجابهنَّ بالهدايا. وقالت جو: «علينا أن نتعرَّف إلـى هذا الرجل ذاتَ يوم.»

ولـم تنسَ الفتياتُ والدهنَّ في ذلك اليوم. فقد همست بيث برقَّةٍ: «بوُدِّي لو أبعث بهذه الباقة الـجميلة من الورد إلـى والدنا. أخشى ألَّا تتاح له فرصَةٌ للاحتفالِ بالعيد.»

الفصل الثالث

الصَّبيُّ لورنس

صاحت ميغ وهي تلوِّحُ ببطاقة الدَّعوة مبتهجةً: «دعوةٌ من السيِّدة غاردنر لمساء الغد بمناسبة رأس السنة الجديدة. ماما تريدنا أن نذهب، فماذا نلبس غدًا؟»

قالت جو: «ما معنى هذا السؤال وأنت تعرفين أنْ ليس لدينا إلّا ثوب البوبلين؟»

تنهَّدت ميغ وقالت: «آه لو كان عندي ثوبٌ من الحرير.»

أجابتها جو: «فستانك ما زال بحالةٍ جيِّدةٍ، وهو يبدو كالحرير. أمَّا فستاني أنا فمهترئٌ.»

وراحت الأختان تتجادلان بشيء من المرارة حول ملابسهما التي لا تبدو لائقةً تمامًا. ولكنَّهما عزمتا أخيرًا على مداراة الأمر والذهاب إلى الحفلة الرَّاقصة.

وفيما قامت الأختان الصغيرتان بدور الخادمتين كانت الأختان الكُبرَيان تستعدّان للحفلة. وفي النهاية، بدتا مهندمتيْنِ على الرغم من بساطة ثوبيهما: ميغ بثوبها الفضّيِّ وشبكة شعرها المخمليَّة الزرقاء، وجو بثوبها الأحمر الداكن وياقتِهِ الصُّلبة.

تمنَّت لهما أمُّهما قضاء وقتٍ طيِّبٍ، وقالت لهما: «لا تتأخَّرا عن الساعة الحاديةَ عشرةَ عندما أرسل إليكما حنّة.»

مشت الفتاتان على استحياء وتهيُّب، فهما نادرًا ما تحضران حفلاتٍ أو مناسباتٍ كهذه. كان حضور هذه الحفلة حدثًا مهمًّا بالنسبة إليهما. وعند الباب، حَيَّتهما السيِّدة غاردنر برقَّةٍ واقتادتهما إلى كبرى بناتها الستِّ. كانت ميغ تعرف سالي، واستطاعت أن تندمج معها بسرعة، أمَّا جو التي لم تكُنْ تهتمُّ كثيرًا بالفتيات، فقد شعرت بشيءٍ من الوحشة وهي تقف وظهرها إلى الحائط. وتمنَّت لو تنضمُّ إلى مجموعةٍ من الفتْيةِ المرحين الذين كانوا يتحدَّثون عن التزلُّج في الجانب الآخر من

الغرفة، وهو ما كان إحدى هواياتها. وعندما أفصحت لأختها عن رغبتها في الانضمام إليهم، لـم تلقَ منها إلّا نظرة تـحذير. وانفضَّ الـجميع من حولها من دون أن يكلِّمها أحد. واستمرَّت تـحدِّق في مَن حولها إلـى أن بدأ الرَّقص.

وسرعانَ ما دُعيت ميغ إلـى الرَّقص، فراحت ترقص غير عابئة بـما يُسبِّبه لها حذاؤها الضيِّق من ألـم. أمَّا جو فقد رأت فتًى ذا شعرٍ أحمرَ يقترب منها، فتوارت منه إلـى ملاذ آمن، ولكنَّها التقت في ذاك الـمكان صبيًّا آخر وجهًا لوجه. إنَّه ابن عائلة لورنس.

قـالـت جـو مـتـلـعـثـمـةً: «لـم أكـن أعـرف أنّ أحـدًا هـنـا.» وحاولَت الانسحاب. ضحك الفتى وقال برقَّةٍ: «يـمكنك البقاءُ إذا شئت.»

وسرعان ما أخذا يتجاذبان أطراف الـحديث ويتضاحكان. وعـرّف الـفـتـى نـفسَـه بـاسـم لـوري لـورنس لأنّـه لا يـحبُّ اسمَـه الـحقيقيَّ (تيودور)، فيما عرَّفت جوزفين نفسها باسم جو. وراح لوري يحدِّثُها عن نفسه، وعن السنوات التي أمضاها في الـخارج. وشجَّعته أسئلة جو على الاسترسال في الـحديث عن ذكرياته في

سويسرا. واستطرد كلاهما في الحديث من غير تكلُّفٍ، وقد شعرا وكأنَّ أحدهما يعرف الآخر منذ زمنٍ بعيد.

أُعجبتْ جو بالفتى وعزمت على أن تحدِّث أخواتها عنه. إنهنَّ محروماتٌ من الإخوة الذُّكور. راحت تتأمّله بإمعان وهي تجاذبه أطراف الحديث وتسأله عن دراسته وعن مشاريعه المستقبليَّة. لحظاتٌ قليلةٌ وعزفت الموسيقى لحن رقصة البولكا. وبدت جو متردِّدة ومرتبكة في البداية. ولكنَّ لوري استطاع إقناعها وراح يعلِّمها خطوات الرقصة الألمانية. كانت جو في منتهى السعادة وهي ترقص مع لوري وقد أخذتْها الأحلامُ بعيدًا بعيدا.

جلسا على السُّلَّم ليلتقطا أنفاسهما عندما توقَّفتِ الموسيقى.

اقتربت ميغ فجأةً ودلفتْ إلى غرفةٍ جانبيَّةٍ، فلحقت بها جو. جلستْ ميغ على الأريكة شاحبةً وهي تتلوَّى من الألم. لقد التوى كاحلها بسبب حذائها الضيِّق الذي انكسر كعبُهُ. وكانت قلقةً تفكِّر في طريقةٍ تعود بها إلى البيت. اقترحت عليها جو أن يأخذا عربةً، ولكنَّ ميغ رفضت قائلةً إنَّ العربة تكلِّف كثيرًا، وهي تفضِّل أن تستريح حتَّى تأتي حنّة.

حان وقت العشاء واتَّجه الـمدعوُّون إلـى الـمائدة. قالت جو لأختها إنَّها ستبقى معها. ولكنَّ ميغ أصرَّت على أختِها أن تتركَها وتذهب إلـى غرفة الطَّعام، لأنَّها تريد أن تستريح بعض الوقت. وطلبت منها فنجانًا من القهوة. ولـم تكد جو تـحصل على القهوة حتَّى اندلقتْ على فستانها. فانزعجت لـما حدث، ولكنَّ صوتًا رقيقًا قال لها: «هل أستطيع الـمساعدة؟»

قالت جو مضطربةً: «كنت أحاول أن أُحضر شيئًا لـميغ، ولكنَّ أحدهم دفعني فانظرْ ما حصل.»

قال لوري: «يا له من أمرٍ مؤسف. هل أستطيع أن أحمل هذا إلـى أختك؟»

قالت جو: «شكرًا لك. دعنا نتَّجه إليها.»

أمضى الـجميع وقتًا طيِّبًا. وعندما جاءت حنّة، نهضت ميغ مسرعةً وقد فاتَها ما حصل لقدمِها، ولكنَّها اضطرَّت إلـى أن تتَّكئ على كتف أختها مُبديةً بعض الألـم. همستْ ميغ في أُذن أختها تُوصيها بألّا تُفصح عن شيء، وقالت متصنِّعةً: «لا شيء، مـجرَّدُ التواء بسيط في قدمي.»

نزلت جو إلى الطَّابق السفليِّ تبحث عن عربةٍ، وفيما هي تبحث عمَّن يستطيع مساعدتها، اقترب منها لوري وعرض عليها أن يوصلهنَّ بعربة جدِّه التي كانت قد وصلت توًّا.

ارتاحت جو لهذا الاقتراح ولكنَّها تردَّدت في قبوله، وقالت للوري: «أليس الوقت مبكرًا لذهابك؟»

أجابها لوري: «أنا أذهب باكرًا دومًا. دعيني أوصلكنَّ إلى البيت. فها هي السماء تمطر.»

قبلت جو بامتنان عرض لوري بسبب وضع أختها السيِّئ، واتّجهوا جميعًا بالعربة الفاخرة. قالت جو: «لقد أمضينا وقتًا رائعًا. أليس كذلك؟»

وراحت الفتاتان تتحدَّثان عن انطباعاتهما السارَّة عن الحفلة وعمَّن تعرَّفتا إليهم.

وما إن انتهى حديثُهما الشيِّق، حتَّى كان الركْبُ قد اقترب من البيت. وما إنْ دلفن إلى البيت حتَّى قالتِ الأمُّ بلهفةٍ: «أخبراني عن الحفلة.»

وراحت الفتاتان تتحدَّثان عن سعادتهما وسرورهما على الرَّغم من ملابسهما البسيطة وحذاء ميغ الضيِّق وما حصلَ لِقدمِها.

الفصل الرّابع

أعباءٌ وهموم

قالت ميغ متنهِّدةً: «ما أصعبَ أن نـحمل أشياءنا ونـمضي في الصباح الذي يلي الـحفلة.»

أجابتْها جو: «أتـمنَّى لو أنَّ كلَّ الأوقات عيدُ ميلاد أو أعياد رأس السنة!»

وقالت ميغ: «من الـجميل أن نذهب إلـى الـحفلات ونعود إلـى الـمنزل بحافلة، ولا نعمل. أنا أحبُّ الرّفاهية.»

بدت كلُّ واحدةٍ منهنَّ منحرفة الـمزاج قليلاً ذلك الصباح. ورُحْن يتشاغلن بأشياءَ شتَّى. وساد جوٌّ من التَّوتُّر دعا السيِّدةَ

مارش إلى أن تصيح بهنّ قائلة: «اصمتْنَ يا بنات. عليَّ أن أبعث بهذه الرسالة في بريد الصباح.»

قالت جو تداعب أختها: «هل أُخِذْتِ بالجوِّ الباذخ هذا؟! انتبهي إلى أنَّه لا يمكن أن تظلّي في أحضان العزِّ دومًا. أيَّتها الفقيرة العزيزة! عليك أن تنتظري حتَّى آخذ فرصتي من الحياة، وعندئذٍ ستنالين كلَّ أسباب الرَّفاهية.»

ضحكتْ ميغ وقالت: «كم أنت مضحكة.» وافترقتا كلٌّ في سبيلها.

عندما فقد السيِّد مارش أملاكه كي يحاول مساعدة صديق ذي حظٍّ عاثرٍ، توسَّلت الفتاتان الكُبْريان أن يسمح لهما بممارسةِ عملٍ ما كي تُساعدا نفسيهما. وقد سمح لهما أبوهما بذلك وانصرفتا إلى العمل بهمَّةٍ ونشاط. وجدت مارغريت فرصة للعمل كمُعلِّمة حضانةٍ، وشعرت بأنَّها مكتفيةٌ براتبها الضئيل. كان الفقر بالنسبة إليها أصعبَ من أن تتحمَّله كالآخرين، فهي لا تزال تتذكَّر ما كانت فيه من عزٍّ وحياةٍ حافلةٍ بالمسرّات. لقد حاولت أن تكون قانعة، ولكن من الطبيعيّ

بالنسبة إلى فتاةٍ شابَّة، أن تتطلَّع إلى الأشياء الجميلة والأصدقاء المرحين، والحياة السعيدة. كانت ميغ نادرة الشكوى، ولكنَّ شعورًا بالظُّلم كان يؤرِّقُها أحيانًا.

أمَّا جو، فقد كان عليها أن تعتني بالعمَّة مارش العجوز الكسيحة التي تحتاج إلى مَن يرعاها. عرضت العجوز العاقر أن تتبنَّى إحدى الفتيات، وكانت شديدة الحزن لرفض طلبها. وعندما التقت بجو استلطفتها ورقَّ لها قلبُها وعرضت عليها أن تكون مرافقةً لها. لم يرقْ هذا العمل كثيرًا لجو في البداية، ولكنَّها قبلَت به على مضضٍ لعدم وجود بديلٍ آخر. وكان أكثر ما يغريها بالعمل، وجود مكتبةٍ ملأى بالكتب الرائعة في بيت تلك السيِّدة العجوز، تنهلُ منها كلَّما أُتيحت لها الفرصة. كانت جو طموحةً تتطلَّع إلى القيام بعملٍ رائع، ولكنَّها كانت تشعر بأنَّها لا تستطيع أن تنال كلَّ ما تشتهي.

أمَّا بيث، فكانت تخجل من الذهاب إلى المدرسة. لقد حاولتْ وعانتِ الكثير ولم تعد تستطيع المتابعة. وأخذ والدها على عاتقه أن يساعدها في دروسها في المنزل. وعندما رحل تابعت بيث دروسها باجتهادٍ معتمدةً على نفسها، كما كانت

تساعد حنّةَ في تنظيف المنزل. كان لها متاعبها كالأُخريات. كانت تحبُّ الموسيقى وتحاول جاهدةً أن تتعلَّمها. كانت تحاول الغناء والعزف، وملؤها الأمل في إتقان الموسيقى ذات يوم.

أمَّا إيمي الصغيرة، فلم يكن يشغلها سوى أنفها المشوَّه، المسطَّح الذي تعرَّض لحادثةٍ عندما أوقعتْها أختُها جو عَرَضًا وهي صغيرة. إنَّها فتاةٌ موهوبةٌ شغوفةٌ بالرَّسم. وكانت شقيقاتُها يدعونها «رافاييل الصغير.»

كانت ميغ محلَّ ثقة إيمي، في حين كانت جو محلَّ ثقة بيث رغم اختلاف الطِّباع.

قالت ميغ بشيءٍ من الضَّجر، وهنَّ جالساتٌ في المساء معًا يَحِكْن الملابس: «أما عند إحداكنَّ ما ترويه لنا؟ لقد كان يومًا مضجرًا وأنا أتلهَّف على شيء من التسلية.»

انبرت جو تحكي ما جرى لها في هذا اليوم مع مخدومتها عندما ضبطتها وهي تقرأ في كتاب «راعي أبرشية ويكفيلد» وكيف طلبتْ إليها أن تستمرَّ في القراءة وتقرأ لها رغم أنَّها لم تكن تفهم الكثير ممَّا تسمع.

وراحت ميغ تقصُّ حكايةً أخرى جرت معها في عملها ذلك النهار. وأدلتِ الصغيرة إيـمي بدلوها وراحت تـحكي واقعةً حدثَت لها في الـمدرسة، وكيف تعرَّضتْ زميلةٌ لها لعقوبة شديدة جَرّاءَ ذنبٍ صغير اقترفته.

وجاء دور الصغيرة بيث لتدلـيَ بدلوها. وروت لأخواتها واقعةً شاهدتها ذلك الصباح. قالت بيث: «عندما ذهبتُ لأُحضِر بعض الـمحار لـحنَّة، كان السيِّد لورنس في مـحلٍّ بيع السَّمك. لـم يـكـن يـرانـي لأنَّـنـي كـنـت خـلـف بـرمـيـلٍ، وكـان مشغولاً بالـحديث مع السمّاك. دخلتِ امرأةٌ فقيرةٌ بأسمالٍ بالية وسألت السمَّاك أن تنظِّف له مـحلَّه مقابلَ القليل من السَّمك لأطفالها الـجياع. رفض السمّاك طلبها بلهجة جافَّة. وهمَّت بالـخروج وقد ارتسم على وجهها الـحزنُ وعلاماتُ الـجوع. نظر السيِّد لورنس إلـى سمكةٍ كبيرةٍ وحملها وناولها إيَّاها. كانت سعادتها لا تـوصـف إزاء هـذه الـمـفـاجـأة. احـتـضـنـت السَّـمـكـةَ بسـعـادةٍ وخرجت مسرعةً وهي تدعو للسيِّد لورنس بالـخير والبركة.»

ضحكتِ الفتيات بعد أن سمعن قصَّة بيث وطلبن من أمِّهنَّ أن تقصَّ عليهنَّ شيئًا.

قصّت عليهنَّ الأمُّ كيف كانت تفكِّرُ في أبيهنَّ هذا الصباح وهي ترتق بعض الثِّياب، وكيف دخل عليها رجلٌ عجوزٌ ارتسمت على وجهه علامات الفقر والإعياء يطلب بعض الملابس. وحكت لهنَّ الأمُّ ما رواه لها ذلك الرجل العجوز، وكيف أنَّه قدَّم أولادَه الشَّبابَ الأربعةَ إلى الجيش للدفاع عن الوطن، فمات منهم اثنان وسُجن ثالثٌ، ولم يبقَ له إلَّا ولدٌ واحدٌ. ومع هذا، فقد كان سعيدًا لما قدَّمه لوطنه. قالت الأمُّ: «لقد شعرت بالخجل من نفسي. لقد أعطيت الوطن رجلاً واحدًا واعتقدت أنَّ هذا كثيرٌ جدًّا، في حين أنّه قدَّم للوطن أربعةً من دون مِنَّة.»

الفصل الخامس

حُسْنُ الجوار

سألت ميغ شقيقتها جو وهي تراها تدبُّ بحذائها المطَّاطيِّ وقد وضعتْ قلنسوةً على رأسها، وحَمَلتْ مكْنسةً طويلةً بيدٍ ومِجْرفةً باليد الأخرى: «ماذا بربِّك تنوين أن تفعلي يا جو؟»

وفيما انصرفت ميغ إلى القراءة، راحت جو تحفر ممرّاتٍ بهمّةٍ ونشاطٍ. وسرعان ما حفرت ممرًّا حول الحديقة بكاملها يفصل ما بين منزل مارش ومنزل السيِّد لورنس. وفيما كان المنزل الأوَّل يبدو شاحب المظهر، كان الآخرُ عبارةً عن دارٍ غنَّاء تنطق بالعزِّ والرّفاهية. ولكم ودَّت جو أن تقتحم هذا

العالـم السحريَّ وتتعرَّف إلـى «ابن لورنس» فهي تتوق إلـى رؤيتـه مـجـدَّدًا مـنـذ أن التـقـتـه في الـحفلة، وقد خطَّطت بكلِّ الوسائل كي يكونا صديقَيْن. افتقدته بعدما ظلَّ فترةً لا يظهر، واعتقدتْ أنَّه ربَّما رحل، ولكنَّها رأت وجهه ذات مرَّةٍ يطلُّ من النافذة. كانت نظراته تنمُّ عن حزن. قالت جو في نفسها: «ذاك الفتى يفتقر إلـى الـمجتمع والـمرح. إنّ جدَّه لا يعرف مصلحتَهُ ويعزله وحيدًا. إنّه بـحاجةٍ إلـى شابٍّ مليءٍ بالحيويّة. لكَم أودُّ أن أصعد إلـى السيِّد الـمبجَّل وأخبره بذلك!»

أسعدتْ هذه الفكرة جو التي كانت تـحبُّ القيام بأعمال جريئة. ولـم تكن الوسيلة تعوزها، واستطاعت أن تلتقي لوري بالفعل. بدا لوري شاحبًا فسألته جو عن صحَّته. أجابها بأنَّه أفضل الآن بعد وعكة بردٍ أصابته وأقعدته أسبوعًا في البيت. وجرى بينهما حديث ودّيٌّ، وتواعدا على اللِّقاء، بعد أن تَستأذنَ جو والدتَها.

وسرعانَ ما عادت جو ودلفتْ إلـى القصر وقالت للوري بـمرحٍ: «ها أنذا أفي بوعدي. أمّي تبعث إليك بتَحيَّتها وتتمنَّى أن أفعل شيئًا من أجلك، وميغ أرسلت لك بعض الـحلوى، في حين

أصرّت بيث على أن أحضر قططها الصَّغيرة لعلَّها تدخل المسرَّة على قلبك.»

وراحت تعيد ترتيب الغرفة وتوضِّب أثاثها وهي تحادث لوري. واستطاعت في لحظاتٍ، أن تُضفي على المكان جوًّا مختلفًا.

كان لوري سعيدًا بما تفعلُه جو. وجلسا على مقعدٍ وثيرٍ وراحا يتجاذبان أطراف الحديث. كان لوري مريضًا ووحيدًا، وقد أحسَّ بسعادةٍ كبيرة لما غمرته به من حنان كان يفتقر إليه. وطلبت إليه جو أن يأتي لزيارتهنَّ. وقالت له مشجِّعةً: «إنَّ أمِّي إنسانةٌ رائعةٌ وسوف تغمرك بالحبِّ والحنان. سنمضي أوقاتًا ممتعةً معًا.» ثمَّ ما لبثتْ أن تساءلت:

«ألا يسمح لك جدُّك بالذهاب؟»

ـ «أعتقد أنَّه سيسمح لي إذا ما طلبتْ منه أمُّك ذلك. إنَّه كريمٌ جدًّا وهو يسمح لي أن أفعل ما أريد، لكنَّه يخشى أن أزعج الغرباء.»

قالت جو: «ولكنَّنا لسنا غرباء، نحن جيرانٌ.. ونريد أن نتعرَّف إليك.»



وشكا إليها لوري جوَّ الوحدة الذي يعيش فيه في قَصْرِ جدِّه. فحثَّته على الخروج من هذه العزلة وزيارة أماكنَ كثيرة. وقالت له مشجِّعة: «سيكون لك أصدقاءُ كثيرون. لا بأس أن تكون خجولاً الآن فهذا أمرٌ لن يطول.»

وراحا يتحدَّثان في أمور شتَّى، حتَّى وصلا إلى الحديث عن الكتب حيث اكتشفا أنَّ هواية المطالعة تجمع بينهما. واقترح لوري أن يريها مكتبة جدِّه. كانت غرفة المكتبة مملوءةً بالكتب وشتَّى أنواع الطَّنافس والتُّحف الغريبة. قالت جو وهي تغوص في كرسيٍّ من المخمل متنهِّدةً:

«يا للثَّراء! أظُنُّ أنَّك أسعدُ فتًى في العالم يا لوري.»

ويُقرع الجرس، وتنهض جو فجأةً بشيء من الهيبة وتقول: «إنَّه جدُّك!»

يشعر لوري بتهيُّبها فيحاول أن يهوِّن الأمر عليها. ويدخل الجدُّ من دون أن تنتبه إليه جو، التي راحت تعبِّر عن مشاعرها إزاء الجدِّ بعد أن حدَّقت طويلاً في صورة له على الحائط. كان تعليقها جريئًا. وعندما تنبّهت إلى وجوده فجأةً، شعرت

بالـخجل وباضطرابٍ شديدٍ. وودَّت لو تستطيع الهروب. ولكنَّ نظرات الـجدِّ الـحانيةَ سرعانَ ما بدَّدت الكثير من اضطرابها. قال لها الـجدُّ بعد لـحظاتٍ من الصَّمتِ:

ـ «إذًا فأنت لا تـخافين منِّي، أليس كذلك؟»

ـ «ليس كثيرًا يا سيِّدي.»

ـ «وأنتِ لا ترينني وسيمًا كجدِّك؟»

ـ «ليس تـمامًا يا سيِّدي.»

ـ «ومع هذا فأنت تـحبِّينني؟»

ـ «نعم أحبُّك يا سيِّدي.»

أُعْجِبَ الرَّجل النَّبيل بالـجوابِ فضحك ومدَّ يدَه مصافحًا. وقال وهو يتفحَّص وجْهَها مومِئًا برأسه: «لديكِ رُوحُ جدِّكِ، وإن كان وجهُكِ لا يشبهه. كان رجلاً رائعًا وعزيزًا عليَّ. كان شجاعًا وأمينًا وكنتُ فخورًا بصداقته.»

شعرت جو بالراحة عندئذٍ، وقالت: «شكرًا يا سيِّدي.»

وراح الـجدُّ يحادثُها برقَّة ويسألها عن حال أمِّها، وقال إنَّه سيزورها ذات يوم. وقُرِع الـجرس معلنًا وقت شرب الشَّاي.

فقال الـجدُّ: «هيّا لنحتفلَ بعلاقة حُسْنِ الـجوار.» ومدَّ ذراعَه ليصطَحِبَها إلـى قاعةِ الشَّاي على طريقة النُّبلاء التقليديَّة.

لـم يَفُتِ الـجَدُّ وهو يحتسي الشَّاي أن يراقب الفتى والفتاة وما طرأ على حفيده من تغيُّرات. لقد صار وجهُه ينبض بالـحياة والنُّور، وطبعه يتدفَّق بالـحيويّة، وضحكتُه تشعُّ بالـمرح.

وبعد تناول الشَّاي، اصطحب لوري صديقته جو إلـى الـمستنبت الزجاجيّ الذي بدا لها شيئًا أشبه بالسِّحر. وفيما كانا يسيران وسط الأشجار والنباتات التي تـخلب الألباب، كان لوري يقطف بعض الورود والأزهار حتَّى تـجمَّعت في باقةٍ قدَّمها إليها قائلاً: «أرجو أن تعطي هذه لأمِّك.»

ودخلا إلـى قاعة الاستقبال حيث كان السيِّد لورنس يجلس عند الـمدفأة. ولفت نظرَ جو بيانو ضخمٌ كان ينتصب في الغرفة، وسألتْ ملتفتةً إلـى لوري: «هل تعزف؟»

وألـحّت عليه أن يعزف لها مقطوعةً ما. وعزف الفتى عزفًا بدا لـجو رائعًا. جاء الـجدُّ إليهما وشكر لـجو تشجيعَها لـحفيده على العزف، وعبَّر عن امتنانه لها آملاً أن تزورَهما ثانيةً. وطلب إليها أن تنقلَ تـحيَّاتِه إلـى أمِّها.

ودّع الفتى فتاته متمنِّيًا لها ليلة طيِّبة واعدًا إيَّاها بزيارة أسرتها عندما يَبِلُّ تـمامًا من مرضه.

عندما حدَّثت جو أهلها عن مغامرتها بعد ظهر ذلك اليوم، شعر الـجميع برغبة في زيارةٍ جماعيَّةٍ للقصر، حيث كان لكلِّ فردٍ أسبابه لـمثل هذه الزيارة.

لاحظتْ جو قبل خروجها من دارة آل لورنس أنَّ الـجدَّ لـم يكن سعيدًا جدًّا لعزف حفيده. وهذا ما دفعها إلـى أن تسأل أمَّها عن سرِّ ذلك.

فقالت لها الأمُّ: «ربَّما يعود ذلك إلـى أنَّ والد لوري قد أحبّ شابَّةً إيطاليَّةً موسيقيَّةً ولـم يكن الـجدُّ سعيدًا بذلك. كانت جيِّدة وودودةً، ولكنَّ السيِّد لورنس لـم يكن يحبُّها، وقد تزوَّج ابنه بها ورحل معها، ولـم يعد السيِّد لورنس يرى ابنه بعد ذلك. ومات الأبوان عندما كان لوري صغيرًا، فعاش في كنف جدِّه. ولعلَّ الـجدَّ يـخشى أن يفقد حفيده، وهذا ما جعله حذرًا. إنَّ حبَّ لوري للموسيقى أمرٌ طبيعيٌّ، وربَّما يخشى الـجدُّ أن يصبح حفيدُه موسيقيًّا فيذكِّره بالـمرأة التي كرهها.»

قالت جو بدهشة: «يا للسُّخفِ! لـماذا لا يصبح موسيقيًّا إذا كان يريد ذلك؟!»

الفصل السادس

بيث تُعجَبُ بالقصر

كان «البيتُ الكبيرُ» قصرًا جميلاً حقًّا. وكان الـجدُّ لورنس يلاطف جميع الفتيات، ويسترجع مع أمِّهنَّ ذكريات الأيَّام الـخوالي. وحدها بيث، كانت تشعر بشيء من الـخجل والرَّهبة منه. كانت تفكِّر بأنَّهنَّ فقيراتٌ ولوري غنيّ، وكانت هي وأخواتُها يـخجلن من قبولِ معروفٍ لا يستطعنَ سداده. ولكن سرعانَ ما تبدَّدت هذه الـمخاوف عندما قالَ الـجدُّ إنَّه يشعر أنَّهنَّ يحسنَّ إليه ويـملأن حياته، في حينَ أنَّه لا يقدِّم ما يكفي للتَّعبير عن امتنانه لهُنَّ.

ما أجملَ الأوقات التي كُنَّ يـمضينها في القصر، وما أكثر الـمباهج والـمسرّات. كانت كلُّ واحدةٍ منهنَّ تـجد ما تتمنّاه،

حتَّى إنَّ ميغ أطلقت على القصر اسم قصر النَّعيم. وكنَّ يتصرَّفن أثناء وجودهنَّ فيه وكأنَّهنَّ في بيتهنّ. اعتقدت بيث أنَّ الجدَّ لورنس لا يرغب في أن يعزف أحد على البيانو، لكنَّ الجدَّ عرف كيف يلاطفها ويداري مشاعرها ويدعوها إلى العزف. وألحَّ على دعوتهنَّ إلى الحضور إلى القصر في أيِّ وقتٍ يرغبْن. وعندها أحسَّت بيث بالاطمئنان والامتنان، وأعربت عن رغبة الجميع في الحضور، وعن رغبتها الشَّديدة في العزف. ووجدت نفسها تعصر يده بشدَّة معبِّرةً عن خالص مشاعر الودّ تجاهه. قال الجدُّ بحنوٍّ بعد أن لمس شعرها:

«كانت لي فتاةٌ لها مثلُ عينيك. ليباركك اللّهُ يا حلوتي.»

غنَّت بيث بسعادةٍ غامرةٍ في تلك الليلة، وأشاعت جوًّا من المرح في البيت كلِّه. وفي اليوم التَّالي، سارعت إلى القصر، بعد أن غادره الجدُّ والفتى، لتُشْبِعَ هوايتَها وتعطُّشَها للموسيقى التي كانت تعشقها. كانت تطير فوقَ أجنحة السَّعادة عندما جاءت حنَّة ظهرًا لتأخذها إلى البيت لتناول طعام الغداء.

قالت بيث لأمِّها بعد بضعة أسابيع من تلك الزيارة الأولى المشهودة للقصر: «أمّي، أريد أن أصنع للسيِّد لورنس زوجًا من

الأخـفـاف. إنَّـه رجـلٌ لـطيـفٌ جـدًّا، وأنـا أريـد أن أعـبِّر لـه عـن شكري.»

قالت الأمُّ: «نعم يا حبيبتي، سيسرُّه هذا كثيرًا، وهي طريقةٌ لطيفةٌ للتَّعبير عن امتنانك له.»

وراحت بيث تعمل بدأبٍ لإنـجاز هذا العمل، تساعدُها في ذلك ميغ وجو، وبعدما أتـمَّت صنع الـخُفَّين، بعثت بهما مع رسالةٍ قصيرةٍ إلـى الـجدّ لورنس وضعتها بـمساعدة لوري، على مكتب الـجدّ ذات صباحٍ قبل أن يصحو من نومه.

ظلَّت بيث طوال يومين تترقَّب بلهفةٍ ردَّ فعل السيِّد العجوز على الرسالة. وأخيرًا وصلتها رسالةٌ من الـجدّ لورنس. صاحت شقيقاتُها بفرحٍ غامرٍ وهنَّ يقُلنَ لها: «انظري.. انظري.» نظرت بيث مذهولةً فوجدت بيانو صغيرًا وفوقه رسالةٌ كتب عليها: «الآنسـة إلـيزابيـث مـارش.» قـالت بيث مضـطربةً وقـد أذهـلتـهـا الـمفاجأة: «اقرئي الرِّسالة أنت يا جو.» وأخفت وجهها في ثوب أختها لشدَّة سعادتها وخجلها.

فتحت جو الرِّسالة وقرأت:

«الآنسة مارش العزيزة،

كان لديَّ الكثير من الأخفاف في حياتي، ولكنَّني لـم أنتعل أبدًا زوجًا يناسب قدميَّ كهذا، يا زهرتي المفضَّلة! هديَّتك سوف تذكِّرني دومًا بالإنسانة النبيلة التي قدَّمتها لي. أحبُّ أن أسدِّد لك ما عليَّ، ولذا أعلم أنَّك ستسمحين «للنبيل العجوز» أن يبعث إليك بشيءٍ، كان في يوم من الأيَّام، مِلك حفيدته الصغيرة التي فَقَدَها. مع تمنِّياتي القلبيَّة وخالص شكري.

صديقك الممتنُّ وخادمك

المطيعُ جيمس لورنس»

قالت جو، وهي تحاول أن تهدِّئ أختها بيث، التي بدا عليها الاضطراب: «هذا شرفٌ تفخرين به. لقد كان الجدُّ مولعًا بحفيدته واحتفظ بكلِّ حوائجها. فكِّري كم هي ثمينةٌ هديَّتُه حين قدَّم لكِ البيانو الذي كان لها.»

قالت إيمي معقِّبةً على الرسالة بتأثُّر كبير: «فكِّري فقط في خاتمة رسالته: خادمك المطيع جيمس لورنس!»

قالت حنَّةُ: «هيَّا جرِّبيه يا حلوتي. أَسمعينا صوت البيانو.»

وما كادت جو تقترح على بيث أن تذهب لتشكر للسيِّد لورنس هديَّته، حتَّى انتصبت بيث شاقَّةً طريقها إلى قصره. واتَّجهتْ فورًا إلى غرفة المكتب.

كانت تريد أن تقول أشياءَ كثيرةً، ولكنَّ نظرات الجدِّ الحانية أنستها كلَّ شيءٍ، ولم تجد نفسها إلّا وذراعاها تعانقانه، وهي تقبِّله. وأحسَّ الجدُّ وهو يُجلِسُها على ركبته كأنَّه استعاد حفيدته.

الفصل السابع

إيـمي تتعرّض للمهانة

قالت إيـمي ذات يومٍ وهي تتابع لوري مـمتطيًا جواده ويضربه بسوطه: «لو أنَّ لديَّ قليلاً من الـمال الذي ينفقه على ذلك الـحصان!»

واعترفت إيـمي لشقيقتها بأنَّها في حاجة ماسَّة إلـى الـمال لتفي ببعض التزاماتها. فتحت ميغ حقيبتها وأعطتها بعض الـمال كي تشتري ما تريد وتسدِّد ما عليها.

وفي اليوم التالـي، تأخَّرت إيـمي في الذَّهاب إلـى الـمدرسة قليلاً، حيث لـم تستطع أن تقاوم إغراء عرض ما اشترته من ثمار اللَّيمون. وسرعانَ ما سرى الـخبر في الـمدرسة بين زميلاتها

اللواتي تقاطرْن إليها. وثار الـحسد في نفوس بعضهنّ لاسيَّما جيني سنو التي كانت تُعيِّر إيـمي من قبل. وأدَّى بها الـحسد إلـى أن تشكوها إلـى الـمُدَرِّس السيِّد ديڤيز واشيةً إليهِ أنَّ إيـمي قد جمعت ثمار اللَّيمون في درج مقعدها.

قال الـمدرِّس بغضبٍ: «إنَّ ثمار اللَّيمون مادّةٌ مـحظورةٌ.» وأعلن أنَّه سيعاقب من يخرق النظام. ثمَّ طلب إلـى إيـمي أن تُحضر كلَّ ما في مقعدها من ثمار وتلقي بها من النافذة.

احـمرَّ وجه إيـمي خـجلاً وحـارت في مـا تفعل. التفت الأستاذ إلـى الفتيات مُعنِّفًا، وراح يتحدَّث بصرامة عن احترام النظام. ولـم تشفع لإيـمي نظرات التضرُّع، فقد أصرَّ الأستاذ على معاقبتها. أحسَّت إيـمي بـمهانةٍ جارحة لـم تشعر بـمثلها في حياتها، جرّاءَ تعرُّضها لعقوبةٍ جسديَّةٍ وأدبيَّةٍ أمام زميلاتها.

وبعد أن انتهت عقوبة إيـمي، رمقتْ أستاذها السيِّد ديڤيز بـنـظـرة لـومٍ حـادَّةٍ وهـي تـخـرج صـامـتـةً من الصفّ وانتزعت أشياءها، وخرجت عازمة على ألَّا تعود. وعندما وصلت إلـى البيت، كانت في غاية الـحزن والأسى. انزعجت شقيقاتُها لـما

حدث، ولم تملك السيِّدة مارش إلّا أن تواسيها ببضع كلمات.

لم يلاحظ خروجَ إيمي من المدرسة إلّا بعضُ زميلاتها، ولكنَّ السيِّد ديفيز كان عصبيًّا على نحو غير عاديٍّ بعد ظهر ذلك اليوم. وقبل أن تغلق المدرسة أبوابها، وصلت جو حاملةً رسالةً من أمِّها إلى المدرسة وراحت تجمع حاجاتِ أختها.

قالت السيِّدة مارش في ذلك المساء: «أنا لا أُقرّ العقوبة الجسديّة وبخاصّةٍ للبنات.» وأذِنت لابنتها أن تأخذ إجازة من المدرسة، على أن تدرس كلَّ يوم مع شقيقتها بيث. ومع هذا، فقد وبَّخت ابنتها لأنَّها خرقت الأنظمة وإن كانت لا تقرُّ أسلوب العقوبة الذي تعرَّضَتْ له.

الفصل الثامن

جو تقابل الشّيطان

تـأهّـبت الأختـان الـكُبرَيـان ميـغ وجـو لـمغـادرة الـمنـزل والذّهاب إلـى الـمسرح، بعد تلقّيهما دعوة من لوري لـمشاهدة مسرحية القلاع السبع. ولـمّا علمت إيـمي بذلك طلبت إليهما أن يصطحباها معهما. فرفضت الأختان اصطحابها لأنّها لـم تكن مدعوّةً، ولأنّ ذهابها معهما قد يحرج لوري. توسّلت إليهما إيـمي بحرارةٍ، ولكنّ جو رفضت بإصرارٍ، في حين قالت لها ميغ: «بوسعك أن تذهبي مع بيث وحنّة الأسبوع الـمقبل.»

بكت إيـمي متوسّلة ولكنّ دموعها ذهبت سدى. وعندما شعرت بعبث توسُّلاتها قالت لـجو مغتاظة: «ستندمين على ذلك يا جو مارش!»

كانت المسرحية رائعةً بزخارفها وأجوائها وممثّليها، ولكنّ ذلك لم يمنع جو من أن تشعر بغصَّةٍ وهي تفكّر: ماذا تستطيع إيمي أن تفعل كي تجعلها تندم؟!

عندما عادت الأختان من المسرح إلى البيت، كانت إيمي تقرأ في كتابٍ، وكانت ملامح وجهها تدلُّ على أنَّها لا تزال مكسورة الخاطر.

بعد ظهر اليوم التالي، تفقَّدت جو مكتبتها فلاحظت أنَّها تنقص كتابًا. سألت شقيقاتِها الثلاث اللَّواتي كنَّ مجتمعاتٍ معًا عن الكتاب، فنَفَتْ ميغ وبيث معرفتَهما به، في حين سكتت إيمي. وجَّهت جو السُّؤال مباشرة إلى إيمي، فأنكرتْ أنَّها أخذته. وسرعانَ ما نشبت مشادّةٌ بين الأختين. وأمام إصرار جو، التي كانت حريصة على الكتاب وعلى إكمال تأليفه قبل عودة والدها، اعترفت إيمي بأنَّها أحرقته تشفِّيًا من موقف جو بالأمس.

صاحت جو وهي تبكي غاضبةً وحزينةً معًا، وقد أخذت تهزّ كتفَيْ إيمي بيديها: «أنت فتاةٌ شرّيرةٌ.. شرّيرةٌ. لن أغفر لك هذا أبدًا.»

اندفعت ميغ لتنقذ إيمي من بين يدي جو، فيما أخذت بيث تهدّئ من ثورة جو.

عندما عادت السيِّدة مارش إلى البيت وعلمت بالقصَّة، استدعت إيمي ووبَّختها على فعلتها، وعرَّفتها بقيمة الكتاب بالنسبة إلى جو التي استغرقتها كتابتُه بضع سنوات. كان عملها واعدًا وجيِّدًا، والآن ضاع كلُّ شيءٍ، لأنَّ جو لم تكن تحتفظ إلَّا بنسخةٍ واحدة.

بدت إيمي شديدة الحزن والأسف وقت تناول الشَّاي، وحاولت أن تعتذر إلى أختها جو بحرارة، ولكنَّ الأخيرة رفضت اعتذارها بشدَّة، وقد بدت علاماتُ الغضبِ على وجهها. قالتِ الأمُّ برفقٍ وهي تقبِّل ابنتها جو قبلة المساء: «لا تدعي النهار يفوت يا غاليتي وأنت غاضبة. فلتسامحْ إحداكما الأخرى ولتبدأ كلٌّ واحدة منكما يومًا جديدًا.»

وفي اليوم التَّالي، ظلَّت جو مكفهرَّة الوجه غير قادرة على نسيان ما حصل. وعزمت على الذَّهاب إلى التزلّج مع لوري لعلَّ ذلك يواسيها. حاولت إيمي أن تعلّق على قرار أختها، ولكنَّ ميغ

نهرتها وقالت لها أن تذهب خلفهما وأن تنتظر حتَّى تستعيد جو مزاجها الطيِّبَ مع لوري وتُقبِّلها.

لحقتْ إيمي بهما. واستعدَّ كلاهما للتزلُّج قبل وصول إيمي إليهما. قال لوري إنَّه سيذهب إلى المنعطف الأوَّل ليستطلع المنحدر قبل أن يبدأ التزلُّج.

صاح لوري مُحذِّرًا إيمي وهو يراها تتعثَّرُ في تزلُّجها: «لا تقتربي من حافة النهر فالمكان غير آمنٍ في المنطقة الوسطى.» لم تسمع إيمي تحذيره، وسرعان ما سقطت في كومةٍ من الثلج وأطلقتْ صرخةً جعلت قلب جو، التي تنبَّهت لسقطتها، يكاد يتوقَّفُ من الرّعب. حاولت أن تستنجد بلوري ولكنَّ صوتها ذهب هباءً. وتمالكت قواها رغم شعورها بالعجز والألم.

صاح لوري فجأةً: «أحضري قضيبًا بسرعةٍ.. هيّا بسرعة.»

وتعاون الاثنان على نقل إيمي إلى المنزل، وهما يبكيان وقد تملَّكهما الرُّعب، ووضعاها قرب المدفأة وغطّياها بأغطيةٍ سميكة.

قالت جو وقد اغرورقت عيناها بدموع الأسى والندم: «أمّاه، إذا ماتت إيمي، لا سمح اللّه، فستكون غلطتي!» وألقت جو باللَّوم على طبعها السيِّئ وقالت باكية: «بربِّكِ يا أمّاه ماذا أفعل؟» أخذت الأمُّ تواسي جو الحزينة بكلماتٍ طيِّبةٍ تعيد لها الطمأنينة والثقة بالنفس.

تنهدَّت إيمي وهي نائمةً. فقالت جو نادمةً بصوتٍ مسموعٍ: «ويحي! لقد سمحت لنفسي أن يمرَّ عليّ النهار وأنا غاضبةً.. كم كنت شرّيرةً حين لم أغفر لها!» وانحنت فوق أختها وبرقّة راحت تمسح بيدها شعرها الرَّطب. فتحت إيمي عينيها وفتحت ذراعيها بابتسامةٍ اخترقت قلب جو. وسرعان ما تعانقتا بقوَّةٍ، وانتهى كلُّ شيءٍ بقبلة أخويّةٍ حارَّة.



الفصل التاسع

مَتاعُ الغرور

غادرت ميغ لتقضي أسبوعين للتَّرفيهِ والـمُتْعة عند أسرة موفات. وكانت هذه العائلة تنتمي إلى الطَّبقة الأرستقراطيَّة. في البداية، شعرت ميغ بالرَّهبة إزاء روعة المنزل وأناقة قاطنيه. ولكنَّ عائلة موفات كانت لطيفةً وسرعانَ ما تُشعر ضيفَها بالراحة. وفي هذا الجوِّ من الراحةِ والطمأنينةِ، أخذت ميغ تقلِّد طباع مَن حولها وطريقتهم في الحديث.

أمضت الصَّبايا الثلاث وقتًا ممتعًا في التسوُّق والتَّنزُّه، والذهاب إلى المسرح والأوبرا، أو تمضيةِ الوقت في البيت مساءً يتمازحنَ ويمرحنَ مع بعضهنّ.

وعندما حان وقت الحفلة الصغيرة، شعرت ميغ أنّ ملابسها المتواضعة لا تليق بالمناسبة. أحسَّت بمعنى نظرات الفتيات سالي وآني وبيل إليها وشعرت بالإحراج. ولكنَّ الفتيات كنَّ دمثاتٍ ورُحْن يساعدنها في زينتها حتَّى لا يُشعرنها بالخجلِ والإحراج.

شعرت ميغ بالأسى لفقرها. ولكنَّ أساها سرعان ما تبدَّد عندما وصلتها باقة من الأزهار هديَّة من لوري. وشعرت بسعادةٍ أكبر وهي توزِّع الورود والأزهار على رفيقاتها. استمتعت بليلتها تلك خاصَّة بعد أن رقصت ما فيه الكفاية. وفيما كانت تنتظر شريكها في الرقص، الذي ذهب ليُحضر لها قطعةً من الثلج، سمعت في الجانب الآخر من الجدار المغطّى بالأزهار، كلامًا فيه الكثير من السُّخرية والطَّعن بها وبأسرتها. أثار هذا الكلام غضبها وحنقها، ولكنَّها استعانت بكبريائها لإخفاء مشاعرها الدفينة.

وفيما هي على هذه الحال من الكرب والخجل، اقتربت منها الآنسة بيل وقالت لها إنَّها أرسلت دعوةً إلى صديقها السيِّد لورنس لحضور حفلة يوم الخميس. ولكنَّ ميغ أفهمتها أنَّ

لوري ليس صديقها. وهنا تدخّلت سالي محاولةً تغيير مجرى الحديث، وسألتها عمّا ستلبس في الحفلة. وشعرت ميغ مرّة أخرى بالإحراج، ولكنّ بيل ألحّت عليها أن تقبل ارتداء ما يناسبها من ثيابها. وفي ليلة الخميس، كرّست بيل نفسها مع خادمتها لجعل ميغ تبدو فتاةً رائعةً في أحسن حُلّةٍ، وأبهى زينةٍ. وعندما أوصلتها بيل إلى قمّة ما تريد قالت لها: «تعالي وأظهري نفسك.» وراحت ميغ تخطو بثوبها الجميل وزينتها البهيّة مستمتعةً بالنظرات الحاسدة من حولها. قالت لها سالي: «أنتِ جميلةٌ جدًّا وتبدين كآنسة فرنسيّة، ولكن حاذري أن تتعثّري.» نزلت مارغريت السُّلّم بتؤدة وانضمّت إلى حيث تجمّع عددٌ من الضيوف وأفراد عائلة موفات. أصابت الدهشة كثيراتٍ ممّن لم يُعِرنها انتباهًا من قبل. وكذلك بات كثيرٌ من السادة الذين لم يعيروها اهتمامًا يطلبون التعرّف بها. وفيما كانت ميغ تلوّح بمروحتها وتضحك، إذا بها وجهًا لوجه أمام لوري. كان يحدّق فيها بدهشة ظاهرة وبعدم رضا. انحنى لها وابتسم، ولكنّ شيئًا ما في عينيه جعلها تحمرُّ خجلاً وتتمنّى لو أنّها كانت ترتدي ثوبها القديم. فقالت له:

ـ «أنا سعيدةٌ بقدومك. كنت أخشى ألّا تأتي.»

ـ «جو أرادتني أن أحضر وأخبرها كيف كان مظهرك.»

ـ «وماذا ستقول لها؟» تساءلت ميغ بشيء من الضّيق.

ـ «سأقول لها إنّي لـم أعرفك لأنّك تبدين أكبر من سنّك ولـم تعودي أنت.»

ـ «يا للسُّخف! الفتيات ألبسنني كي أمرح. ألا تـحبُّني كذلك؟»

أجابها لوري بطريقةٍ فظّةٍ: «لا.»

انزعجت ميغ من طريقة تعبيره التي خلت من أيّة علامة من علامات أدبه الـمعتاد. فقالت مغتاظةً وهي تغادر مكانها: «أنت أوقح فتى رأيتُه.» ومشت إلى الـنافـذة كي تستشعر شيئًا من البرودة. وسرعان ما اقترب منها لوري شاعرًا بالندم وقال لها:

ـ «أرجو أن تغفري لـي وقاحتي وأن تقبلـي بالرّقص معي، تعالـي.» ومدَّ إليها يده. ابتسمت ميغ ومشيا معًا بعيدًا. ورجته ألّا يخبر أحدًا من أهلها عن ثوبها في تلك الليلة وقالت إنّها ستخبرهنّ بنفسها.

وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث بثقةٍ ومودّةٍ، اقترب منهما تيد موفات ليطلب يد ميغ للرّقص، فتركها لوري ولم يتدخَل إلّا عندما أسرفت ميغ في تناول المشروباتِ الروحيَّة.

شعرت ميغ بالمرض طوال اليوم التالي. وعادت يوم السبت إلى بيتها وهي تشعر بالراحة والسكينة. وراحت تقصُّ على شقيقتيها مغامراتها مبتهجةً وتحدّثهنَّ عن الأوقات السعيدة التي أمضتها. ولكن ما إن مضت شقيقتاها الصُّغريان إلى النوم، حتّى ذهبت إلى حضن أمّها لتعترف بكلّ الأشياء الشنيعة التي اقترفتها لدى أسرة موفات. وراحت تروي لها كلّ ما حدث بالتّفصيل.

قالت الأمُّ تلوم نفسها: «لم يكن من الحكمة أن أسمح لك بالذهاب إلى أناسٍ لا أعرف عنهم إلّا القليل، أناسٍ يفتقدون التهذيب، ولديهم الكثير من الأفكار المبتذلة.»

أطرقت ميغ تفكّر في ما فعلت وفي ما سمعت ثمّ سألت أمّها: «أحقًّا لديك خِطَطٌ كما قالت السيِّدة موفات؟» قالت الأمُّ: «نعم يا عزيزتي. لديّ الكثير من الخطط، وكلُّ الأمّهات لديهنّ

خططٌ. ولكنَّ خططي تختلف عمَّا تفكِّر فيه السيِّدة موفات. أريد لِبناتي أن يكُنَّ جميلاتٍ وطيِّباتٍ، وأن يكنَّ موضع إعجابٍ وحبٍّ واحترامٍ، وأن يعشن حياةً سعيدةً، وأن يتزوَّجن زيجاتٍ عاقلة. أنا ووالدكنَّ على ثقة بأنَّ بناتنا، سواءٌ كنَّ عازباتٍ أو متزوِّجاتٍ، سيكنَّ فخرًا لنا وراحةً لحياتنا.»

صاحت ميغ وجو معًا: «سنكون كذلك يا أمّاه، نقسمُ لكِ أنَّنا سنكون كذلك.»

الفصل العاشر

نادي بيكويك

حلَّ الربيع وحلَّت معه مباهجُ جديدة. ومع تفتُّح الأزهار، كان لا بدَّ من العناية بالـحديقة الصغيرة. وراحت الشقيقات الأربع يولين اهتمامهنَّ للعناية بها. كانت كلُّ واحدة منهنَّ تُعنى بـما تـحبُّ من الورود والأزهار. وهكذا، شغلن أوقات فراغهنَّ بهذه الهواية الـممتعة بالإضافة إلـى هواية التجذيف في النهر.

أمّا في الأيّام الـماطرة، فقد كان لديهنّ تسلياتٌ أخرى، إذ لـمّا كنَّ معجباتٍ بالروائي الإنكليزي تشارلز ديكنز وبروايتِهِ الـمرحة «السيّد بيكويك» فقد شكّلن جمعيَّةً أطلقن عليها اسم نـادي بـيـكـويك. وانـتـحلتْ كـلُّ واحـدةٍ مـنـهـنَّ شـخـصـيَّـةً من

شخصيّات هذه الرواية، ورُحْن يـمثّلن أدوارَها. وكان اندماجهنّ في تـمثيل هذه الأدوار، وما يطرأ عليها من مفارقاتٍ، يجلب لهنّ الكثير من الـمرح والـمتعة والسعادة.

الفصل الحادي عشر

اختبارات

شكّل سفرُ عائلة كينغ إلى الشاطئ للاصطياف فترة ثلاثة أشهرٍ فرحةً بالغةً لميغ، لأنّهُ سيمنحها الراحة في هذه العطلة الطّويلة. أمّا جو، فكانت متعبة وتريد أن تقضي يومها في السرير كي تنال قسطها من الراحة، بالإضافة إلى ممارسة متعة القراءة. وفيما رغبت الصغيرتان إيمي وبيث بالانصراف إلى دروسهما نصحتهما الأمُّ بالقيام بما يترتّب عليهما من اختبار.

استيقظت ميغ في الصّباح، وجلست في الرُّكن الذي تجلس فيه والدتها، وراحت تحلم بملابس الصّيف التي ستشتريها من راتبها. أمّا جو، فقد أمضت صباحها مع لوري عند

النهر فيما انصرفت بعد الظهر إلى القراءة. وعكفت بيث على موسيقاها، بينما اشتغلت إيمي بالرَّسم وهي تتخيَّل كيف ستصبح رسَّامةً مشهورةً ذات يوم.

شعرت الفتيات بأنَّ الوقت يمضي بطيئًا ومملاً. ولكن لم تشأ أيَّةُ واحدة منهنَّ أن تعترف بوطأة الاختبار الذي كان عليهنَّ القيامُ به. وعندما صرفت الأمُّ حنّة في إجازةٍ، شعرت الفتيات بهمٍّ أكبر وتذكَّرن قول حنَّة: «إنَّ تدبير المنزل ليس بنزهة.» وعندما قررت الأمُّ أن تختلي بغرفتها وتترك لهنَّ تدبير شؤون المنزل، بما في ذلك تحضير طعام الإفطار والغداء، اكتشفن مدى قصر باعهنَّ وضآلة خبرتهنَّ في هذا المجال، ومقدار العبء الكبير الذي تقوم به حنّة.

كان على جو أن تُحضِّر طعام الغداء لضيوفها، وأن تتسوَّق كلَّ شيء وتعدَّ كلَّ شيء. وفي المطبخ، اكتشفت أنّ الإرادة وحدها لا تكفي. لقد ارتكبت جو عدّة أخطاء في طريقة تحضير الطَّعام وفي تقدير المعايير المناسبة. وجاء الغداء الذي حضَّرته مهزلة. وشعرت بالخجل وهي ترى ضيوفها، خاصَّةً لوري، ينصرفون عن صنفٍ بعد آخر. وضحك لوري بصوتٍ عالٍ كي

يبدِّد جوَّ الوجوم والصَّمت الذي ران على الـجميع، وحتَّى لا يتحوَّل الغداء إلـى مأساةٍ، وقد كاد، خاصَّة حين احتقن وجه جو وكادتْ تبكي وهي تستطلع وجوه مَن حولها بعدما تذوَّقوا ما صنعت يداها. ولكنَّها بدلاً من أن تبكي، انقلبت إلـى الضَّحك، حيثُ نـظـرت إلـى الـجـانـب الـكـوميديِّ من الـمشهـد، وتبعـهـا الآخرون أيضًا بـمَنْ فيهم السيِّدة كروكر التي كانت تبدي الكثير من علامات الامتعاض وهي تـجرِّب صنوف الطَّعام. وهكذا انتهى الغداء التعيس نهايةً مرحة.

تَنَفَّسَ كلٌّ من جو وميغ الصُّعداء بعد عناءِ يومٍ طويلٍ، إثر ذهاب الضُّيوف. وجلست الفتاتان ومعهنَّ إيـمي وقد أخذ منهنَّ التعب كلَّ مأخذَ. وانضمَّت إليهنَّ أمُّهنَّ وقالت: «هل أنتنَّ راضياتٌ يا بناتي عن الاختبار، أم أنَّكُنَّ تفضِّلن أسبوعًا آخر؟!»

ردّت الفتيات بصوت واحد تقريبًا: «لا.. لا نريد ذلك.»

قـالت الأمُّ: «مـن الأفضـل إذًا أن تـقـمـن بـالـقـلـيـل مـن الواجبات، وأن تقدِّمن شيئًا للآخرين أليس كذلك؟»

وتابعت الأمُّ تدعوهنَّ إلى تَعَلُّم الطَّهو لأنَّه أمرٌ لا يـمكن للمرأة أن تستغنيَ عنه.

قـالت مـيغ وقـد أدركت حيـلة أمِّـهـا: «أمّـي، هـل تركتِنا وابتعدتِ كي تَرَي كيف نتصرَّفُ من دونك؟»

قالت الأمُّ: «نعم، أردت أن تعرفْن أنّ راحة الـجميع تعتمد على ما تقومُ به كلٌّ واحدةٍ منكنَّ بإخلاص. أليس من الأفضل أن تساعدَ كلٌّ واحدةٍ الأخرى بحيث يكون الـمنزل مريحًا ومُبهجًا للجميع؟»

صاحت البنات: «سنفعل ذلك يا أمي، سنفعل.»

وأدركت السيِّدة مارش عندئذٍ أنَّ اختبارها لبناتها قد نـجح.

الفصل الثاني عشر
مُخيَّم لورنس

عادت بيث من مكتب البريد ذات يوم من أيّام شهر تـمُّوز، وهي تـحمل رسائل وهدايا إلـى ميغ وجو. وكان نصيب جو من الرسائل رسالتين، إحداهما رسالةٌ رقيقةٌ من أمِّها تعبِّر فيها عن ارتياحها لِحُسنِ تصرُّف جو التي باتت تـحسن التحكُّم بطبعها وتدعو لها بالنجاح والتوفيق. والأخرى من لوري.

وكانت رسالة لوري تقول إنّه سيُخيّمُ في منطقة تدعى «لونغ ميدو» مع عددٍ من الأصدقاء حيث سينتقلون إليها بالقوارب، ويتغدّون ويلعبون الكروكيت. وهو يدعوهنَّ بإلـحاح إلـى الانضمام إليهم حيث البهجةُ والصحبة الـجميلة.

طارت جو فرحًا وهُرعت تخبر ميغ وأمَّها وتطلب إذنها للانضمام إلـى لوري وصَحْبه من فتيانٍ وفتياتٍ وصِبْية.

وما إن اخترقت أشعَّة الشمس غرف نوم الفتيات في صباح اليوم التالـي واعدةً بيومٍ مشرقٍ، حتَّى كانت جو أولـى الصَّاحيات من النَّوم لتوقظ أخواتها. وسرعانَ ما ارتدينَ الـملابس الصيفيَّة الـخفيفة وارتسمتْ على وجوههنّ السعادة والبهجة.

هُرع لوري للقائهنّ وتعريفهنَّ بأصدقائه. سُرَّت ميغ بلقاء الآنسة كيت بثيابها البسيطة وأحسَّت بالزَّهو لكلمات تيد الذي أكَّد لها أنَّه جاء خصِّيصًا كي يراها. واختارت بيث الفتى الأعرج كي تصادقه، في حين استلطفت إيـمي الفتى غريس وسرعان ما تصاحبا.

وكانت الـخيام والأطعمةُ مُعدَّةً مسبقًا، وسرعان ما ابتدأت الـحفلة. وانطلق القاربان معًا: لوري وجو في قاربٍ، والسيِّد بروك وتيد يجذِّفان في القارب الآخر. حيث جلست ميغ وجهًا لوجه مع السيِّد بروك الصَّامت الوسيم ذي الصَّوت العذب الذي أحبَّت خصاله، وإلـى جانب تيد الذي يحاول أن يشيع جوًّا من

البهجة. أمَّا سالي غاردنر فكانت تجاذب فْرِد أطراف الحديث، وقد شغلتها فكرة المحافظة على ثوبها الأبيض نظيفًا.

لم تكن المسافة إلى لونغ ميدو بعيدة. وكانت الخيمة قد ضُرِبَتْ لتوِّها وسط حقلٍ أخضرَ انتصبت في وسطِهِ ثلاثٌ من أشجار السنديان الوارفة وإلى جانبها شريطٌ من العشب يصلح للعبة الكروكيت.

قال المضيف وهم يترجَّلون من القوارب: «أهلاً بكم في مخيَّم لورنس.» وراح يوزِّع الرُّتب والأمكنة على الجميع مقترحًا القيام بلعبة الكروكيت قبل الشُّروع بالغداء.

وراحوا يلعبون بحماسة ونشاط ويتبارون ويتنافسون ويتقاذفون الكرة. واشتدَّت المنافسة بين الأميركيين والبريطانيين حتَّى كادت تتحوّل إلى مشادّة لولا تمالُك جو أعصابها. وهذا ما راق لأختها ميغ التي هنَّأتها على حسن تصرُّفها.

صاح السيِّد بروك وهو ينظر إلى ساعته: «حان وقت الغداء!»

وراح يوزِّع المهمَّات على الأفراد. ونهضت جو لصنع القهوة، في حين راح كلٌّ من الآخرين يقوم بعملٍ ما. ومُدَّت مائدةٌ رائعةٌ حافلةٌ بأصناف الطَّعام الطَّازجة والشهيّة.

قالت جو مازحةً تخاطب لوري: «كيف تجرؤُ على تذكيري بالغداء التعيس الذي دعوتك إليه، في حين أنّ غداءك حافلٌ بكلٍّ ما هو ممتع؟» وضحكا معًا.

سأل لوري: «ماذا نفعل بعد الغداء؟»

كانت الآنسة كيت تعرف ألعابًا جديدةً كثيرةً، لذا تحوَّل الجميع إلى ركن الاستقبال كي يلعبوا لعبة الكلام الفارغ. وراحت كيت تشرح قواعد اللُّعبة: «يبدأ أحدكم بسردِ قصَّةٍ، يقول أيَّ كلام مهما كانَ، ويقصُّ ما يشاء، ولكن عليه أن يتوقَّف عند نقطةٍ مثيرةٍ، وعندها يأتي دور غيره ويتابع على المنوال نفسه.. وهكذا.» وأضافت بلهجةٍ آمرةٍ: «ابدأ أنت يا سيّد بروك.»

أطاع بروك وشرع يحكي قصَّة.

ضحك الجميع من هذه القصّة بعد أن أدّوا أدوارهم. واقترحت سالي لعبةً جديدةً اسمُها الحقيقة. وشرحتْ هذه اللعبة بأنَّه ينبغي على اللّاعب فيها أن يجيب بصراحةٍ عن أيَّة أسئلةٍ يطرحها عليه الآخرون. إنَّها ممتعةٌ جدًّا.

وقالت جو: «دعونا نـجرِّبها.»

وقع الـخيار على لوري بعد إجراء السَّحْب.

وتقاطرت الأسئلة الطَّريفة والـمحرجة على لوري الذي أجاب عنها بواقعيَّة، وضحك الـجميع. وجاء بعده دور فْرِدْ، الـذي بـادرتـه جـو بسـؤالٍ فـيـه تَـشَـفٍّ: «ألـم تـغشَّ في لـعـبـة الكروكيت؟» واعترف فرِدْ بذلك، فأثلج هذا الـجواب صدر جو التي كانت مستاءة من تصرُّفاته أثناء اللّعب. ثمّ قالت: «لعبة «الـحقيقة» لعبةٌ سخيفةٌ... دعونا نلعب «لعبة «الـمؤلّفين» التي تشحذ أذهاننا.»

وفي حين انخرط معظمهم في اللُّعبة الـجديدة، انزوت ميغ مع السيِّد بروك في حديث رقيقٍ عن الغناء والأدب. وراحت تقرأ في كتابٍ لشيلر أعطاها إيَّاه. وبعدما أثنى السيِّد بروك على قراءتها امتدَّ بينهما حديثٌ شيِّقٌ ووجدانـيٌّ أثار عاطفته.

أمضى الـجميعُ ذلك النَّهارَ بسعادةٍ وسُرور.

وعند الغروب، انفضَّ كلُّ شيءٍ وعادت الـمجموعة كلُّها بالقوارب تـجذِّف وتغنّي بـمرحٍ وسعادة.



الفصل الثالث عشر

أسرار

حلَّ الـخريف، ومع نهارات الـخريف القصيرة، كانت جو تعمل بدأبٍ كي تنجز الأوراق التي بين يديها. وعندما أنـجزت هذا العمل، ذيَّلتهُ بحاشية تقول: «قدَّمتُ هنا أفضل ما أستطيع! وإذا كان هذا لا يناسب، فعليَّ أن أنتظر حتَّى أستطيع القيام بـما هو أفضل.»

حملت جو أوراقها وخرجت إلى الطَّريق، وركبت حافلةً عـامّةً واتّـجهت نـحوَ الـمدينة، وعـندما نزلت اتَّـجهت بـخطًى مسرعةٍ إلـى عنوانٍ مـحدَّدٍ في شارعٍ مزدحمٍ. تردَّدت كثيرًا في الدُّخول. ولـم يَطُلْ بها الـمقام في ذلك الـمكان، إذ سرعان ما

نزلت. وهذا ما أثار دهشة رجلٍ كان يراقبها ويتساءل بفضولٍ عن سرِّ مـجيئها بـمفردها.

وتشاء الصُّدف أن تلتقي لوري الذي بدا مندهشًا لرؤيتها فسألها عمَّا يُزْعجها! ومشى إلى جانبها صامتًا لبرهةٍ ثمَّ قال لها إنَّه يودُّ أن يتمشَّى معها قليلاً ويخبرها بأمرٍ هامّ.

أبدت جو رغبتها في سماع ما يودُّ أن يقول. عندئذٍ قال لها: «حسنًا، إنَّه سرٌّ، وإذا كنت سأطلعك عليه فلا بدَّ من أن تُطلعيني على أسرارك.» وعندما نفت جو أن يكون لديها أسرارٌ قال لها لوري: «أنت لا تستطيعين أن تـخفي شيئًا. هيّا أفصحي وإلّا لن أخبرك بشيء.»

واعترفت جو بأنَّها سلَّمت قصَّتين إلى صحافيٍّ يعمل في جريدةٍ ليُبْدِيَ رأيه فيهما. صاح لوري استحسانًا وألقى بقُبَّعَتِهِ عاليًا وهو يقول: «اللَّه! ستكون الآنسة مارش مؤلِّفةً أميركيّةً مشهورة!»

وبعد أن سمعت جو كلمات الثناء والتشجيع من لوري قالت: «والآن ما هو سرُّك أنت؟» قال لها لوري: «أعرف أين

يوجد قفّاز ميغ الضائع.» ومال نحوها وأسرَّ همسًا بكلماتٍ قليلةٍ. بدت جو مستاءة ممّا سمعت، خلافًا لِما اعتقد لوري.

كانت أبعاد ما سمعَتْه جو من لوري تُقلقها. وسرعان ما انعكس ذلك على سلوكها الـمُستغرب في الـمنزل. كانت تندفع نحو الباب عندما يقرع ساعي البريد جرس الـمنزل، وتعامل السيِّد بروك بجفاءٍ عندما تقابله، وتنظر إلـى ميغ بوجه مُثقلٍ بالهموم، وتقفز إليها من وقت إلـى آخر لتهزَّها ثمَّ تقبِّلها بطريقةٍ غريبة.

دلفتْ جو إلـى الغرفة فجأةً بعد أن وقفت في الـحديقة مع لوري، يتضاحكان ويـمرحان. جلست من فورها على الأريكة وراحت تقرأ بشغف. سألتها ميغ التي كانت تـحوك الثياب: «هل هناك ما يثير اهتمامك؟»

قالت جو وهي تـخفي عنوان الـجريدة: «لا شيء. إنَّها مـجرَّد قصَّةٍ عنوانها: الرسامون الـمتنافسون.»

طلبت ميغ من جو أن تقرأ هذه القصّة. وراحت جو تقرأ بسرعةٍ وشقيقاتها الثلاث يُتابعنها باهتمام. فالقصّة كانت

رومانسيّة ومُحزنةً بعض الشيء إذ يموت معظم أبطالها في النهاية. وبعد أن أنهت جو القراءة راحت شقيقاتها يُعلِّقن عليها. وفجأة سألت بيث التي التقطت لمحات وجه جو: «مَنْ كتب هذه القصّة؟»

وهنا نهضت جو وهي تظهر الرَّزانة والوقار: «إنَّها أختكنّ.»

صاحت ميغ وهي تلقي ما في يدها: «أنت!»

وتعالت صيحات الإعجاب من الجميع وغمرهُنَّ فرحٌ كبيرٌ. لم تشأ ميغ أن تصدِّق إلّا بعد أن شاهدت اسم أختها «جوزفين مارش» مطبوعًا في الجريدة. وقالت حنّة التي جاءت تستطلع النبأ: «كم ستفخر بك السيِّدة مارش عندما تعلم!»

وكشفت جو النقاب عن قصَّتها الثانية، وكيف أعجب بهما المسؤول في الجريدة. وأعلنت عن رغبتها في الكتابة من جديدٍ، وأنَّ قصَّتها ستكون مأجورةً هذه المرَّة. وأعربت عن سعادتها بذلك لأنّها مع الوقت ستساعد نفسها وتساعد أخواتها.

إنَّها الخطوة الأولى نحو نهايةٍ سعيدة.

الفصل الرابع عشر

بـرقـيّـة

أعربت مارغريت عن استيائها من شهر تشرين الثاني، وهي تنظر من النافذة إلى الحديقة التي قرصها الصقيع ذات يومٍ قاتمٍ بعد الظّهر.

وقالت بيث الجالسة عند النافذة الأخرى: «ثَمَّةَ حدثان مبهجان على وشك الوقوع. فمارمي قادمة في الطَّريق، ولوري يطوف في الحديقة وكأنَّه يريد أن يزفَّ إليها شيئًا.»

ودخل كلاهما المنزل. وسألت السيِّدة مارش سؤالها المعتاد: «هل وصلت أيَّة رسالةٍ من والدكنَّ يا بنات؟»

ورنَّ الـجرس فـجأةً بـحدَّة، ودخلت حنَّة تُعلن وصول برقيَّة. عند سماع ذلك فضَّت السيِّدة مارش البرقيَّة، وقرأت السَّطرين الواردين فيها وارتـمت بعدها في شبه غيبوبة.

قرأت جو البرقيَّة بصوت مرتعش:

السيِّدة مارش

زوجك مريضٌ جدًّا. احضري حالاً.

س. هيل

مستشفى بلانك، واشنطن

استفاقت السيِّدة مارش ومدَّت ذراعيها إلى بناتها قائلةً بنبرة لن يَنْسَيْنَها أبدًا: «سأذهب في الحال، ولكنَّني ربَّما أصل متأخِّرةً كثيرًا. بناتي الحبيبات ساعِدْنَني على تحمُّل الموقف!» وساد النحيب جوَّ المكان تخلَّلتْه كلماتُ مواساةٍ متقطِّعةٍ وهمساتٌ تخنقها العبرات.

لـم تشأ الأمُّ أن تُضيع الوقت في البكاء، وسارعتْ إلى وضع غطاء رأسها، فيما سارعت حنَّة إلى تحضير أمتعتها.

وطلبت الأمُّ من لوري أن يرسل برقيَّة في الحال يخبرهم فيها أنّها قادمة في قطار الصَّباح الباكر. كما طلبتْ من جو أن تخبر السيِّدة كينغ أنَّها لا تستطيع الحضور غدًا. وطلبت من بيث أن تطلب من السيِّد لورنس زجاجتين من الشّراب تقدِّمهما هديَّةً لزوجها. وسألتْ إيمي أن تنزل لتطلب من حنَّة تحضير صندوق الثياب الأسود، فيما طلبت من ميغ أن تساعدها في تحضير أمتعتها.

انطلق كلٌّ واحدٍ في اتّجاه. وسرعانَ ما ظهر السيِّد لورنس مع بيث حاملاً معه كلَّ ما يمكن أن يريح المريض، ووعودًا بحماية الفتيات ورعايتهنَّ طوال فترة غيابها. وعرض الرَّجل مرافقتها، ولكنَّ السيِّدة مارش ما كانت لتقبل أن يتكبَّد النبيل العجوز مشقَّة السَّفر. وفجأةً ظهر السيِّد بروك أمام ميغ عند المدخل، وأبدى أسفه الشَّديد لها وعرض أن يرافق والدتها إلى واشنطن. شعرتْ ميغ بامتنانٍ عظيمٍ، وأبدت ارتياحها لمرافقته أمّها في الطَّريق.

عاد لوري من بيت العمَّة مارش يحمل المبلغ المطلوب مع رسالة قصيرةٍ تقول فيها إنَّها كانت تنتقد دومًا التحاق أخيها

بالـجيش وتتوجَّس شرًّا من وراء ذلك. ولكن السيّدة مارش لـم تكترث للرّسالة وألقتْ بها في النار، وتابعتْ استعداداتِها.

وفيما كان الـجميع منهمكين في أعمالهم، كانت جو لا تـزال غـائبـةً عـن الـمـنـزل مـا أثار قلق الـجـميع. وخرج لوري ليبحث عنها، فإذا بها تعود وقد ارتسمت على وجهها تعبيراتٌ جعلت الـجميع في حيرة. وقدَّمت جو لوالدتها رزمة من النقود قـائلةً: «هذه مساهمة منّي لوالدي كي يكون مرتاحًا ويعود إلينا.»

سألتِ الأمُّ ابنتها بقلق عن مصدر النقود، فطمأنتْها جو وقالت إنَّها لـم تـحصل على النقود إلّا من شيء يخصُّها.. إنَّه شعرها الطَّويل، الذي أصبح قصيرًا بعد القصّ. وحاولت جو وسط الدَّهشة التي رانت على الـجميع أن تظهر اللّامبالاة. ولكنَّ حقيقة مشاعرها لـم تخفَ على أحد. وعندما ألـحَّت عليها إيـمي بالسؤال عن سبب فعلتها قالت جو: «كنت توّاقة إلـى أن أُقدِّم شيئًا لوالدي... فأمّي تقترض الكثير، وميغ قدَّمت راتبها عن ثلاثة أشـهـر.» وراحت تـقصُّ عليـهنَّ بالتفصيل كيف باعت شعرها الطَّويل للحلّاق، وكيف ساومها على ثمنه، وكم أسفتْ على

شعرها الغالي. وتوجَّهتْ بخطابها إلى أمِّها قائلة: «لقد احتفظتُ لك بخصلةٍ يا أمّي الحبيبة.»

أخذت الأمُّ الخصلة وشكرتِ ابنتها وفي حلقها غصّةٌ. وساد جوٌّ من الوجوم. وانصرفت الفتيات إلى النوم، ولكنَّ جو لم تنم. كانت راقدةً في الفراش بلا حراك. كانت حزينةً على شعرها، ولكن لم تكن نادمة. أخفت أحزانها وقالت لأختها ميغ التي حاولت أن تواسيها: «اعتبري الموضوع منتهيًا.»

وفيما هنَّ نائماتٌ عند منتصف الليل، كانت أمُّهنَّ تطوف بين أسرّتهنَّ، تغطّي هذه أو تعدِّل مخدَّة تلك، وترنو إليهنَّ بحنانٍ داعيةً لهنَّ بالسَّكينة.

وعند الفجر، استيقظت الشقيقات الأربع ورُحن يتهيَّأن لوداعٍ مفعمٍ بالحبور والأمل.

بدا كلُّ شيء غريبًا عندما نزلن إلى الأسفل... طعام الإفطار.. وجه حنَّة.. كلُّ شيءٍ بدا غريبًا. أمَّا السيِّدة مارش، فقد بدا عليها الشُّحوب وآثار القلق والأرق. وران الصَّمت على الجميع.

بيد أنَّ قرقعة عربة مقتربةٍ جعلَتْهُنَّ يتنبَّهن ويُصغين. إنَّها لحظة الفراق الصَّعبة. ولكنَّ البنات تجالدن بصبر، وقبَّلن أمَّهنَّ بهدوءٍ، وحاولنْ أن يلوِّحن لها بمرح حين همَّت بالرَّحيل. كان لوري وجدُّه في وداعها. أمَّا السيِّد بروك، فقد أظهر قَدْرًا كبيرًا من الشَّهامة والرقّة. قالت الأمُّ مودِّعةً: «الوداع يا أحبائي! ليباركنا اللَّه ويحفظنا جميعًا.» وقبَّلتِ الجميع وهُرعتْ إلى العربة.

ما كادت الأمُّ تبتعد قليلاً حتَّى قالت جو: «أُحسُّ بشيءٍ أشبه بالزلزال.» وعقَّبتْ ميغ: «يبدو لي أنَّ نصف البيت قد رحل.»

صاحتْ حنَّة: «والآن هيَّا إلى شرب القهوة يا حبيباتي.. أبقاكنَّ اللَّه ذخرًا للعائلة.» قالت جو وقد استردَّت روحها المعنويَّة: «ليكن شعارنا: الأمل والعمل.»

كانت الأنباء الواردة من والدهنَّ، الذي انتعشت روحه بمجيء زوجته، تدعو إلى الاطْمِئنان. وكان السيِّد بروك يوافيهنَّ بنشرةٍ يوميَّةٍ عن صحَّته. وكانت ميغ بوصفها أكبر أفراد العائلة، هي التي تقرأ الرسائل، فيما راحت الأخوات يتبارين في كتابة الرسائل إلى والدَيْهِنَّ.

الفصل الـخامس عشر

أيَّامٌ سود

عادت الأمور تنتظم في الـمنزل بعد أن اطمأنَّت الفتيات إلـى صحَّة والدهنّ. واقترحت بيث أن تذهب ميغ إلـى أسرة هملز التي أوصت والدتهنَّ بها. تـحاملتْ بيث على نفسها، رغم ما بها من صداعٍ وبعد تقاعس أخواتها، وشقَّت طريقها وسط الريح القارسة، بعد أن ملأت سلَّتها بأشياء حملتها لصغار تلك الأسرة الفقيرة. وعادت بيث إلـى الـمنزل في ساعة متأخِّرةٍ في حالةٍ يرثى لها. سألتها جو عمَّا بها، فراحت تذرف دموعها وتقول: «لقد مات طفل السيِّدة هملز في حضني قبل أن تعود إلـى البيت.»

قالت جو وهي تأخذ شقيقتها بذراعيها: «يا لأختي المسكينة! كم كان الأمر مرعبًا لك! كان عليَّ أن أذهب. لا تَبْكي لا عزيزتي. كيف تصرَّفْتِ؟»

- «بَقيتُ حتَّى جاءت السيِّدة هملز مع الطبيب. قال الطَّبيب: إنَّه ميت. إنَّها الحمَّى القرمزيَّة. كنتُ حزينةً جدًّا، وبقيتُ معهم إلى أن طلبوا منّي الذَّهابَ إلى البيت فورًا، وأن آخذ الترياق وإلَّا أُصِبْتُ بالحمَّى.»

قالت جو برعب بعد أن لامت نفسها على تقاعسها: «ماذا نفعل الآن؟»

ولجأتا إلى حنَّة التي اقترحت استدعاء الطَّبيب وبقاء بيث في المنزل، على أن تبقى معها إحدى شقيقاتها لتعنى بها. كما اقترحت أن تذهب إيمي بدلاً من بيث إلى منزل العمَّة مارش.

احتجّت إيمي باكيةً قائلةً إنَّها كانت تفضِّل الحمَّى على الذهاب إلى منزل السيِّدة مارش. ولكنَّ لوري استطاع أن يقنعها برقَّة واعدًا إيَّاها بأن يأتي لاصطحابها يوميًّا. فرضختْ إيمي، وغادرتْ ساكنةً مع لوري وجو.

كان الطَّبيب قد شخَّص مرض بيث بأنَّه أعراض حمَّى. وتولَّت حنَّة القيام بأعباء العناية، وكذلك كرَّست جو نفسها ليل نهار لبيث، التي كانت تتحمَّل الألـم من دون شكوى، إلى أن جاء وقت لـم تعد فيه بيث تستطيع تـمييز وجوه مَن حولها، وراحت تطلب أمَّها بتوسُّل. وفيما كانت ميغ تفكِّر في إخبار والدتها بالأمر، جاءت أنباءٌ تزيد من أحزانهنَّ، فقد علمْنَ أنَّ والدهنَّ أصيب بانتكاسةٍ تـمنعه لفترةٍ طويلةٍ من العودة إلى البيت.

كانت الأيَّام حالكةً وشديدة الوطأة على قلوب الفتيات، فيما شبح الـموت يُخيِّم على الـمنزل الذي كان عامرًا بالسعادة ذات يوم. كان الـجميع يفتقدون بيث ويسألون عنها ويتمنَّون لها الشِّفاء العاجل.

كان يوم الأوَّل من كانون الثاني يومًا شتويًّا شديدًا. فقد عصفت الرِّياح وهطلت الثلوج بقوَّة. وعاد الطَّبيب بانغز بيث ذلك الصَّباح، وعندما جسَّ نَبَضَها قال لـحنّة بلهجةٍ خافتةٍ: «إذا كانت السيِّدة مارش تستطيع أن تفارق زوجها، فمن الأفضل استدعاؤُها.» جاء لوري حاملاً رسالة تفيد بأنّ صحَّة السيِّد مارش آخذةٌ بالتحسُّن ثانية. ولكنَّه وجد جو في غايةِ الاضطراب.

واغرورقت عيناها بالدُّموع وهي تخبره بما قاله الطَّبيب بشأن استدعاء والدتها. ولكنَّ يَدَ لوري الحانية التي أمسكت بيدها، استطاعت أن تعيد إليها الراحة والثقة بالنفس. فقال لها مشجِّعًا: «تأمَّلي خيرًا يا جو. ستعود أمُّك قريبًا، وعندئذٍ يكون كلُّ شيء على ما يرام.» وتابع مطمئنًا: «لقد أبرقتُ إلىٰ أمِّك البارحة وأجابني بروك بأنَّها قادمةٌ في الحال. ستكون هنا الليلة.» قفزت جو من مكانها وأحاطته بذراعيها وهي تبكي بدموع الفرح: «أوه لوري! أوه يا أمِّي! أنا سعيدةٌ للغاية!»

قال الطَّبيب إنَّ بعض التغيير قد يطرأ على بيث حوالي منتصف الليل، وإنَّه سيعود عند ذلك. اضطجعتْ حنّة عند قائمةِ السرير وغَرقت في نومٍ عميق. أمَّا لوري، فقد اضطجع على السجّادة وهو يحدِّق في المدفأة.

لم تنس الفتيات أبدًا تلك الليلة التي لم يعرفن فيها طعم النوم. كان المنزل صامتًا كالقبر. ولم يكن يُسمع سوى عويل الرّيح. ومرّت ساعةٌ بعد منتصف الليل، ولم يطرأ أيُّ تطوُّر. وغادر لوري إلى المحطَّة كي يستقبل السيِّدة مارش، فيما تملَّك الفتياتِ خوفٌ مبهمٌ من تأخُّر الطَّبيب.

وعند الساعة الثانية صباحًا، تنبَّهتْ جو التي كانت واقفةً عند النافذة، إلى صوت حركةٍ في السرير. التفتتْ بسرعة فوجدتْ أختها ميغ منحنيةً وقد أخفت وجهها، فانتابَتها فكرةٌ مرعبةٌ أن تكون بيث قد توفِّيت وأن ميغ تخشى أن تُبلغها. ولكنَّها أحسَّت بسعادة غامرة عندما وجدتْ نظرة الألم على وجه أختها قد تلاشت فانحنت عليها وقبّلتها فوق جبينها الرَّطب. وسرعانَ ما استفاقت حنَّة من نومها ونظرتْ إلى بيث وجسّت يدها وأصغت إلى حركة شفتيها، وقالت بدهشة: «لقد انقشعتِ الحمَّى. نومها طبيعيٌّ، وهي تتنفَّس بسهولةٍ.. يا إلهي العظيم!»

وجاء الطَّبيب ليؤكِّد لهنَّ هذه الحقيقة ويخبرهنَّ أنَّها ستتماثل قريبًا للشِّفاء.

لم يكن لسعادتهنَّ حدودٌ.. قالت جو: «لو أنّ أمّي تأتي الآن!»

قالت ميغ: «سأضع لها هذه الوردة البيضاء في المزهريَّة حتَّى تكون هي ووجه أمِّي أوَّل شيء تراه عندما تستيقظ في الصَّباح.»

لـم تشرق الشَّمس في يوم من الأيَّام بـمثل تلك الروعة كما أشرقتْ ذلك الصَّباح، ولـم يبدُ العالـم بهيجًا في عيون جو وميغ الـمثقلة، كما بدا في ذلك اليوم. واكتملت سعادتهما بصوت لوري البشوش يعلن عن وصول أمِّهما.

الفصل السادس عشر

وصيَّةُ إيـمي

فيما كانت هذه الأحداث تـمرُّ بالأسرة، كانت إيـمي تـمرُّ بأوقاتٍ عصيبةٍ في منزل العمَّة مارش الصَّارمة. كانت تريد أن تُعَلِّمها في فترةٍ وجيزةٍ، ما تعلَّمته خلال ستّين عامًا. وهذا ما جعل إيـمي الطيِّعة الودودة تشعر بنفسها وكأنَّها أسيرة. كان عليها أن تقوم بكثير من الواجبات الـمنزلية الـمتلاحقة. ولـم يكن لديها إلَّا اليسير من الوقت لدروسها أو راحتها. أمَّا الأماسيُّ فكانت عذابًا حقيقيًّا لإيـمي، إذ تُضطرُّ إلى سماع قصص السيِّدة العجوز الـمطوَّلة عن ذكريات شبابها. ولولا حضور لوري اليوميّ لتفقُّدها، ووجود الخادمة إيستر، لـما كان بوسع إيـمي أن تتحمَّل البقاء في ذلك الـمنزل الـمُضجر.

وإيستر امرأةٌ فرنسيَّةٌ عملت في خدمة السيِّدة مارش منذ زمنٍ طويلٍ. كانت تمضي أوقاتًا سعيدةً معها، وهي تستمع إليها تقُصُّ بعض قصص حياتها. وكانت إيستر تسمح لإيمي أن تتفحَّص أشياء السيِّدة مارش الجميلة وحُليَّها الثمينة، التي أعجبت بها إيمي أيَّما إعجابٍ وتمنّت لو تحظى بقطعةٍ منها. تساءلت إيمي: «أتمنَّى لو أعرف لمن ستؤول هذه الأشياء الجميلة بعد وفاة السيِّدة مارش؟» فقالت لها إيستر هامسة: «ستؤول إليك وإلى أخواتك. لقد كنت شاهدةً على وصيَّتها.» فرحت إيمي أيَّما فرح وتمنَّت لو أنَّ السيِّدة مارش تسمح لهنَّ باقتناء هذه الأشياء الآن. وعزمت على أن تكتب وصيَّةً مشابهةً أُسوة بعمَّتها، وإن كانت لا تملك سوى أشياء بسيطة.

طلبت إيمي مساعدة إيستر في كتابة وصيَّتها. كما طلبت توقيعها عليها كشاهدةٍ، وكذلك توقيع لوري كشاهدٍ ثانٍ. تناول لوري الوثيقة بجدِّيةٍ وراح يقرأ:

رغبتي الأخيرةُ ووصيَّتي

أوصت إيمي في هذه الوثيقة بكلِّ لوحاتها وصورها والمئة دولار التي تملكها إلى أبيها يتصرّف بها كما يشاء.

وأوصت إلى أُمِّها بملابسها وصورتها وميداليَّتها، وخالص حبِّها. وأوصت إلى أختها ميغ بخاتمها الأزرق (إذا حصلت عليه) وصندوقها الأخضر، وعقدها، ومخطَّط كتابها. وأوصت إلى جو بدبُّوسها ومحبرتها البرونزيّة. وأوصت إلى بيث (إذا عاشت بعدها) بالدُّمى الخاصَّة بها ومِرْوَحتها وحذائها. ولم تنس إيمي السيِّد لورنس من وصيّتها.

تساءل لوري بعد أن قرأ الوصيَّة: «من أدخل مثل هذه الفكرة في رأسك؟ هل أخبرك أحد عن توزيع بيث لأشيائها بين أخواتها ومنهنَّ أنت؟ ومع هذا لم تفكِّر في كتابة وصيّة!»

أسفتْ إيمي لأنّ أختها وزّعت خصلاتٍ من شعرها على جميع أفراد الأسرة، في حين هي لم تفعل ذلك. وأرادت أن تستدرك ذلك بفقرةٍ خاصَّةٍ تُلحقها بالوصيَّة.



الفصل السابع عشر

حديثٌ خاصٌّ

كان أوّل شيء وقع عليه نظر بيث بعد أن استفاقت من رقْدَتها الطّويلة، هو وجه أمِّها والوردة الصَّغيرة. ولـم تستطع وقد هدَّها الضَّعف، سوى أن تبتسم وتعود إلـى النوم ثانية.

قـدَّمت مـيغ وجـو الـطَّعـام لأمِّـهـمـا وراحتـا تُـصغيان إلـى حديثها عن والدهما، وعن وعد السيِّد بروك بالعناية به، وعن العاصفة التي أخَّرت عودتها إلـى الـمنزل، وعن الوجه البشوش الذي استقبلها به لوري عند وصولها، وقد أخذ منها الإعياء والبرد والقلق كلَّ مأخذ.

فرحت إيـمي فرحًا غامرًا بلقاء أمِّها التي اصطحبتها إلـى الكنيسة. وكان اللّقاء مناسبة كي تفضي إليها بكلِّ ما لديها. وفيما كانت إيـمي تشير إلـى صورة الـمسيح الصغير في حضن أمِّه العذراء، لـمحت أمُّها الـخاتـم في يدها. فأخبرتها إيـمي أنَّه تقدمةٌ من العمَّة مارش، التي قالت إنَّها تـحبُّها وتريد أن تستبقيها عندها. وكان رأي أمِّها أنَّها ما زالت صغيرةً على أن تضع في إصبعها أشياء كهذه.

في تلك الأمسية، وفيما كانت ميغ مشغولةً بكتابة رسالة إلـى والدها تخبره فيها بسلامة وصول أمِّها، تسلَّلت جو إلـى غـرفـة بيث حيث كـانت أمُّـهـا، وأسـرّت إليـهـا بـحـكـاية العلاقة الـحميمة ما بين ميغ والسيِّد بروك الذي يـمنعه الـخجل من مصارحتها.

سـألـتهـا الأمُّ وقد ارتسمت على وجـهـها علامة تعجُّـبٍ: «وهل تهتمُّ ميغ به؟» وحاولت جو أن تـموِّه أو تنفي أنَّها لاحظت شيئًا مـحدَّدًا على أختها. فقالت الأمّ:

«إذًا فأنت تتخيَّلين أنَّ ميغ غير مهتمَّةٍ بجون؟»

سألت جو مُتعجبةً: «مَن؟»

قالت الأمُّ: «السيِّد بروك، إنَّني أدعوه جون الآن. لقد كان مثال الإنسان الطَّيِّب في العناية بوالدك وبي. وكان صريحًا وشريفًا بشأن عواطفه نحو أختك. وقال إنَّه يريد أن يحصل على بيتٍ قبل أن يتقدَّم لطلب يدها. وطلب منَّا أن نسمح له أن يحبَّها ويعمل على إسعادها. إنَّه شابٌّ ممتازٌ، ولكنَّني لا أريد لأختك ميغ أن تتزوّج فهي صغيرةٌ جدًّا.» وأوصت الأمُّ ابنتها بألّا تخبر أختها ميغ بأيِّ شيءٍ، وقالت: «أريد أن أراهما معًا حتَّى أستطيع أن أحكم على مشاعرهما بصورةٍ أفضل.» وتابعت الأمُّ:

«إنَّ ميغ لا تزال في السابعةَ عشرةَ من عمرها. وجون يحتاج إلى سنواتٍ حتَّى يستطيع تأمين منزل لها. لقد اتَّفقتُ مع والدك على ألّا ترتبط أختك بأيِّ رابطٍ أو زواجٍ قبل العشرين. إذا كان أحدهما يحبُّ الآخر فبوسعهما الانتظار وتذوّق حلاوة الحبّ. إنَّها فتاةٌ واعيةٌ وأعرف أنّها ستعامله بطريقةٍ لبقة. أتمنَّى لها كلَّ السعادة.»

الفصل الثامن عشر

لوري يرتكبُ حماقة

تفحَّصت ميغ وجه جو في اليوم التَّالي بإمعان، وكأنَّها تحاول أن تقرأ ما تُخفيه من سرّ. لم تشأ ميغ أن تستنطقها وتركتها لِتُفصحَ عن سرِّها من تلقاء نفسها. لاذت جو بالصَّمت مُتجاهلةً الموضوع، وخشيت في الوقت نفسه أن تلجأ إلى ملاذها لوري خشية أن ينتزع السرَّ منها. وهذا ما حاوله بالفعل بشتَّى الوسائل دونما جدوى. واستطاع بالإلحاح أن يدرك أنَّ الأمر يتعلَّق بميغ والسيِّد بروك. وغاظه ألّا يكون موضع ثقة مُعَلِّمه فعزم على الانتقام.

في اليوم التَّالي، سَلَّمت جو رسالةً مختومةً إلى ميغ، ما أثار دهشة الأخيرة. وما كادت ميغ تقرأ بضعة أسطرٍ حتَّى جفلت

وندَّت منها صيحة فزعٍ: «هذا خطأٌ فاحشٌ!» واتَّهمت ميغ أختها جو بتدبير مكيدةٍ ونعتتها بعبارات قاسيةٍ. نفت جو التُّهمة عن نفسها، وراحت تقرأ وأمّها الوريقة، التي ألقت بها ميغ إليهما. كانت الرسالة المكتوبة بخطٍّ غير مألوفٍ تقول:

«عزيزتي الغالية مارغريت

لا أستطيع أن أكبح عواطفي أكثر من ذلك، وأريد أن أعرف مصيري قبل أن أعود. لا أجرؤ على إعلام والدَيْك بعد، ولكنَّني أعتقد أنَّهما سيكونان راضيَيْن عندما يعلمان أنَّ كلينا يهيم بالآخر. سوف يساعدني السيِّد لورنس في الحصول على موقعٍ مناسبٍ، وأنت يا غاليتي ستمنحينني السعادة. ألتمس منك ألّا تخبري عائلتك بشيءٍ الآن، وأن ترسلي فقط كلمةً واحدةً تبعث على الأمل عن طريق لوري.

المخلص لك جون»

صاحت جو بغيظ بعد قراءة الرُّقعة: «يا للوَغد! سينال منّي تقريعًا شديدًا ولسوف أُجبره على الاعتذار.» وأدركت الأمُّ هنا أنّ في الأمر مكيدةً ما. وطلبت من جو أن توضح موقفها أوَّلاً.

وأقسمت جو أنَّها لـم ترَ هذه الرقعة من قبل. كما أنَّ السيِّد بروك لا يـمكن أن يكتب بأسلوبٍ كهذا.

وهنا فاجأت ميغ الـجميع: «بل إنَّه يشبه أسلوبه!»

واعترفت ميغ بأنَّها أجابت عن رسالته. هنا طلبت منها أمُّها بلهجةٍ آمرةٍ أن تقصَّ عليها الـحكاية كلَّها فقالت ميغ: «تلقَّيت رسالته الأولـى من لوري الذي بدا لا يعرف شيئًا عن فحواها. قلقت في البداية، وأردت أن أُعلِمَك ولكنَّني آثرت ألّا أُخبرك لأنَّني أعرف مقدار معزّتك للسيِّد بروك. اغفري لـي يا أمّي. أشعر بسخافة موقفي الآن.»

سألت السيِّدة مارش: «ماذا قلتِ له؟»

قالت ميغ:

«قلتُ له إنَّني ما زلت صغيرةً على مثل هذه الأمور، وإنَّه ينبغي أن يتحدَّث إلـى والدي، وشكرتُ له حُسْنَ معاملتِه وطلبتُ أن نظلَّ أصدقاءَ لفترة طويلة.»

ابـتـسـمت الأمُّ لـجـواب ابـنـتـهـا، فـيـمـا صـاحت جـو باستحسانٍ: «هيّا تابعي يا ميغ... ماذا كان ردُّه؟ كتب بأسلوبٍ مـختلفٍ مؤكِّدًا أنَّه لـم يكتب أيَّة رسالة حبٍّ.»

وهنا أدركت جو وقد أصابها ما يشبه الدُّوار أنَّ لوري هو كاتب الرسالتَيْن واحتفظ بالرِّسالة حتَّى يشمت بها لأنَّها لم تخبره بسرِّها.

قالت ميغ: «لا تحتفظي بأسرارٍ بعد اليوم. أعلمي أمَّك بكلّ شيء كما أفعل أنا.»

أرادت الأمُّ أن تضع حدًّا لهذه المهازل على الفور، فطلبت من جو أن تُحضر لوري. وعادت به جو بالفعل دون أن تخبره بشيء. وعندما وصل ورأى وجه السيِّدة مارش المتجهِّم، أدرك على الفور جدِّيَّةَ الموقف. بقيت الفتاتان خارج غرفة الاستقبال. وطال الحوار. وعندما دخلتا كان وجه لوري ينمُّ عن ندمه. وعاد لوري يطلب المغفرة من ميغ التي عاتبته بشدَّة في البداية، ثمَّ عادت فغفرت له أمام توسُّلاته الصَّادقة. وانفرجت أسارير الأمِّ، وشعر الجميع أنَّ الغمامة قد انزاحت.

الفصل التاسع عشر
المروجُ الخضراء

مرّت بعد ذلك أسابيعُ هادئةٌ. ومع اقتراب عيد الميلاد، راحت جو تقترح احتفالاتٍ غريبةً احتفاءً بهذا العيد السعيد غير العاديّ. وبشَّرت أيَّامٌ عدَّةٌ من الطَّقس اللَّطيف بعيد ميلاد سعيد. وشعرت بيث بنشاطٍ زائدٍ ذلك اليوم، وسارعت إلى ارتداء هديَّة أمِّها. وقالت وقد غمرها الجميع بالهدايا والمحبَّة: «لو كان والدي هنا لكنتُ في قمَّة السَّعادة.» وردّدت بعدها شقيقاتها الثلاث الأمنية ذاتها.

وأخذت السيِّدة مارش تقلّب نظرها ما بين رسالة زوجها وابتسامة بيث، والحلية الذهبيَّة التي وضعتها بناتها على صدرها ثمَّ قالت بامتنان: «هل يمكن أن أكون أسعد حالاً؟»

فتح لوري باب غرفة الضُّيوف وأطلَّ برأسه بهدوء. كان سعيدًا بـما استُقبل به من حُسن الوِفادة وهو يقدّم هديَّته لأسرة مارش في عيد الـميلاد.

وفجأة دخل السيِّد مارش ومعه السيِّد بروك. أذهلت الـمفاجأة الـجميع لبرهةٍ وعقدتْ ألسِنتهم. وسرعانَ ما امتدَّت الأذرع الـمشتاقة لتعانق الأب الغائب. وكان من بين هذه الأذرع بيث التي تحاملت على نفسها وفتحت باب غرفتها لتلقي بنفسها في أحضان والدها.

عمّت السَّعادة الـمنزل وغمرته. ولـم تنسَ السيِّدة مارش في ذروةِ سعادتها أن تشكر للسيّد بروك عنايته الصَّادقة بزوجها. ولـم ينسَ بروك بدوره أن يُذكِّر بأنَّ السيِّد مارش يحتاج إلى الرَّاحة.

كان عشاء الـميلاد رائعًا، وعلى الـمائدة تصدَّر الدِّيكُ الرُّوميُّ الـمُحَمَّرُ الشَّهيّ. وكان على الـمائدة السيِّد لورنس وحفيده اللَّذان كانا مدعوَّين إلى العشاء. وعلى رأس الـمائدة، جلس الأب وابنته بيث جنبًا إلى جنبٍ على كرسيَّيْن مريحَيْن. شرب الـجميع أنخاب الصّحة، وتحدَّثوا، وغنَّوا، واستمتعوا بوقت سعيدٍ حقًّا. وما إنْ رحل الضُّيوف حتَّى تحلَّقت العائلة

السَّعيدة حول الـمدفأة، وأخذت الفتيات يتحدَّثْنَ عن ذكريات العامِ الفائت، وما واجهن خلاله من صعاب.

قال الأب وهو يُقلّب بين وجوه بناته الأربع: «ما زال أمامكنَّ طريقٌ شاقٌّ بعض الشَّيء أيَّتها الـمناضلات الصَّغيرات، ولكنَّكنَّ أبديتُنَّ جانبًا من الشَّجاعة، وأعتقد أنَّ الأعباء في طريقها إلى الانزياح عن طريقكنَّ.»

دُهشت البنات وهنَّ يسمعن كلام والدهنَّ، وتساءلن عمَّا إذا كانت والدتُهنَّ قد أخبرَته شيئًا. قال الأب: «لقد قمتُ باستكشافاتٍ كثيرة هذا اليوم.» وأمسك الأب بيد ابنته ميغ وشدَّ عليها قائلاً: «غاليتي ميغ، أنا فخورٌ بأن أصافح هذه اليد العاملة الصغيرة.» همست بيث التي كانت جالسةً في حضن أبيها: «وماذا عن جو؟ قل شيئًا عنها. لقد كانت شديدة الحنوِّ عليَّ.» قال الأب ضاحكًا: «أنا لم أعد أرى جو الصَّغيرة التي تركتُها منذ عام. أنا أرى اليوم جو الصَّبيَّة التي تعرف كيف تلبس وتتحدَّث وتمشي. وأكاد أفتقد ابنتي الحرون، ولكن إذا كان اللَّه قد أبدلني بها امرأةً قويَّةً ومُعينةً فسأكون في غاية الرضا.»

قالت إيمي، وهي تنتظر دورها: «والآن جاء دور بيث.»

قال الأب وهو ينظر إلى وجه بيث بحنان: «لقد أعادك اللّه إليَّ سالمةً يا بيث وأرجو أن يوفِّقني في أن أحافظ عليك.»

وبعد لحظة صمت، قال وهو ينظر إلى إيمي التي كانت جالسةً عند قدميه: «لقد لاحظتُ أنَّ إيمي تقوم بالكثيرِ من الواجبات المنزليَّة، وتُعنى بالآخرين، واستنتجتُ أنَّها تفكِّر في الآخرين أكثر من نفسها، وأنا فخورٌ بذلك. وسأكون فخورًا أكثر عندما أرى ابنتي المحبوبة والموهوبة تجعلُ الحياة جميلة لها وللآخرين.»

سألتْ جو: «فيم كنت تفكِّرين يا بيث؟»

ـ «كنت أقرأ في «تقدُّم الرحّالة» كيف وصل كريستيان وهوبنل إلى مرج أخضر مبهجٍ، بعد الكثير من المتاعب، حيث يزهو الزَّنبق طوال العام، وحيث أقاما بسعادةٍ كما نفعل الآن، قبل أن يتابعا رحلتهما إلى غايتها.»

قالت بيث ذلك ثمَّ قامت من حضن أبيها وخطت خطوات نحو البيانو قائلةً: «لقد حان وقت الغناء. سأحاول أن أغنّي أغنية ابن الراعي التي سمعها الرحّالة. لقد وضعت اللَّحن من أجل والدي لأنَّهُ يحبُّ كلمات الأغنية.»

الفصل العشرون
العمَّةُ مارش تـحلُّ الـمشكلة

تـحلّقت الأمُّ وبناتها في اليوم التالـي حول السيِّد مارش وَتَرَكْنَ كلَّ شيء للاهتمام به والإصغاء إليه. وكانت علامات القلق ترتسم على وجهَيْ السيِّد والسيِّدة مارش وهما يتابعان ميغ بنظراتهما. وبدا وكأنَّ ثمَّة مسألةً ما معلَّقة تـحتاج إلـى حلّ. ولـم تكن هذه الـمسألة سوى تـحديد علاقة جون بـميغ. كانت جو ترى ضرورة حسم هذه الـمسألة، في حين ما كانت ميغ تستطيع أن تبدي رأيًا، طالـما أنَّ جون لـم يتقدَّم لطلب يدها، فضلاً عن أنّ والدها لا يزال يعتقد أنَّها صغيرة. وفيما الأختان تتحاوران حول الرَّدِّ الـمناسب إذا ما تقدَّم جون لطلب يدها، إذا بجون يدخل

ويلقي تحيَّة المساء عليهما، وقد بدا على وجهه الاضطراب. وقال مبرِّرًا مجيئه بأنَّه نسي مظلَّته، كما أنَّه يريد أن يتفقّد صحَّة السيِّد مارش.

تسلَّلت جو من الغرفة كي تترك لميغ فرصةً للتَّحدُّث مع جون. ولكن ما إنْ خرجت حتَّى انسحبت ميغ بدورها نحو الباب قائلةً: «أمّي تودُّ أن تراك. أرجو أن تجلس وسوف أطلبها.»

قال لها السيِّد بروك وقد بدا متألِّمًا: «لا تذهبي. هل أنت خائفةٌ منِّي يا مارغريت؟» احمرَّ وجه ميغ، كمن أحسَّ بأنَّه اقترف ذنبًا، وأدهشها أنَّه يخاطبها باسمها (مارغريت). ولمَّا كانت حريصةً على أن تبدو ودودةً وطبيعيَّةً، فقد قالت له إنَّها لا يمكن أن تخاف منه وقد كان طيِّبًا جدًّا مع والدها، وإنَّها لا تريد سوى أن تشكره.

قال وهو يمسك يدها بكِلْتا يديه وينظر إليها بتوقٍ شديدٍ: «هل أدُلُّكِ كيف تشكرينني؟» سحبت ميغ يدها مذعورةً وقالت وهي تحاول الانسحاب: «لا، أرجوك.»

وتابع السيِّد بروك برقَّةٍ: «لا أريد أن أُزعجَك. أريد أن أعرف فقط إذا كنت تهتمِّين بي. إنَّني أحبك يا غاليتي كثيرًا.»

أربكت المفاجأة ميغ ونسيت كلَّ ما كانت حضَّرَت من كلمات لهذه المناسبة وألحَّ عليها جون ليعرف رأيها، وقال إنَّه لا يستطيع أن يعمل بحماسةٍ ما لم يحصل على هذه المكافأة. قالت ميغ بتعثُّر إنَّها لا تزال صغيرةً، وتابعت وهي تسحب يدها من بين يديه، إنَّها لا تستطيع أن تختار الآن، وطلبت منه أن يتركها ويمضي في سبيله.

شعر السيِّد بروك المسكين وكأنّ أحلامه تنهار أمامه. ومع هذا، فقد ظلَّ متمسِّكًا بأهداب الأمل علّها تغيِّر رأيها. ولكنَّ جواب ميغ كان قاسيًا وقاطعًا: «لا تفكِّر بي مطلقًا.»

بدا السيِّد بروك حزينًا شاحبًا، ولكنَّه ظلَّ ينظر إليها برقَّةٍ وتوقٍ شديدٍ علَّ قلبها يرقُّ له.

في تلك اللَّحظة المثيرة، دخلت العمَّة مارش. وكان دخولها المباغت مفاجأة أذهلت الاثنين. وراحت تقلِّب النظر بين وجه جون الشَّاحب ووجه ميغ المتورِّد خجلاً، باستغراب. وسألت العمَّة ابنة أخيها عمَّن يكون جون وعن سرِّ موقفها المرتبك. وحاولت ميغ أن تتملَّص من الإجابة، ولكنَّ العمَّة

أصرَّت على معرفة كلِّ شيء. وعندما عرفت شخصيَّته استشاطت غضبًا وحذَّرت ميغ من هذا الزواج وهدَّدتها بحرمانها من الميراث إن هي ارتبطت بهذا الإنسان البسيط.

كانت العمَّة مارش تعرف كيف تثير روح المعارضة لدى الآخرين. وهذا ما حدث بالنسبة لميغ التي استفزَّها تحيُّز عمّتها وإلحاحها؛ فاندَفعَتْ إلى رفض ما تقوله عمَّتها بعناد قائلةً:

«سأتزوّج مَن أشاء يا عمَّتي مارش، وبوسعك أن تهبي نقودك لمن تشائين.» اشتدَّ غضب العمَّة لرفض ميغ وأخبرتها أنَّها ستندم على تصرُّفها. ثمَّ خفَّفت لهجتها وراحت تنصحها بالتفكير في الموضوع جديًّا، وأن تتعقَّل في اتِّخاذ قرارها، وإلَّا فإنَّها ستندم طوال حياتها. وامتدَّ بينهما حوارٌ ساخنٌ كانت العمَّة خلاله تحاول أن تُعيّر جون بفقْره وصِغَر شأنه، في حين انقلبت ميغ إلى الدِّفاع عنه بحرارةٍ مُعدِّدة مزاياه وفضائله. ونفت بشدَّةٍ أن يكون جون يريد أن يستغلَّ علاقاتها الغنيّة، واحتجَّت بشدَّةٍ على هذه الاتِّهامات المتحاملة قائلة: «جون لا يريد أن يتزوَّجني من أجل المال... نحن نريد أن نعمل معًا. أنا لا أخشى الفقر، فأنا سعيدةٌ حتَّى هذه اللَّحظة وسأكون سعيدةً معه.»

استشاطت العمَّة غضبًا من موقف ابنة أخيها، وهدَّدت بأنَّها ستغسل يديها من الموضوع برمَّته. وقالت إنَّها لن تمنحها أيَّ شيءٍ عند زواجها، وعلى أصدقاء جون تكفُّلُها.

صفَقتِ العمّة الباب في وجه ميغ وخرجتْ، تاركةً إيَّاها في بحرٍ من الحيرة. وقبل أن تستفيق من حالتها، فاجأها جون بأنَّه كان يستمع إلى الحوار كلِّه، وهو يشكرُ لها دفاعَها، وهذا ما يدلُّ على أنَّها مهتمَّةٌ به. وطلب إليها أن تدعه يبقى لأنّه سيكون سعيدًا بذلك، فوافقته ميغ وهي تخفي وجهها في صدره.

بعد دقائق قليلة من مغادرة العمّة الغرفة، نزلت جو لتستطلع ما جرى بين أختها وجون، وما إذا كانت قد نفَّذت خطَّة استبعاده التي اتَّفقتا عليها. ولكنَّها بُغتت عند عتبة الباب بمفاجأةٍ أذهلتها. وندَّت منها صرخةٌ عندما رأت أختها في جلسةٍ حميمةٍ مع جون. وعندما تنبّه العاشقان قفزتْ ميغ، في حين اقترب جون من جو قائلاً بسعادةٍ: «أختي جو، هنِّئيني!»

لم تستطع جو أن تتحمَّل الموقف وأجفلت مبتعدةً، وطلبت من والدَيْها أن يتدخَّلا. ولم تتمالك نفسها من البكاء وهي تُخبر شقيقتيها بيث وإيمي بهَوْل ما رأت.

لـم يدر أحدٌ بالـحديث الطَّويل الذي جرى بين الوالدين والسيِّد بـروك في غـرفـة الاسـتـقـبـال. ولـكـن عـنـدما حان وقت العشاء، كانت السَّعادة باديةً على وجوه الـجميع، وخصوصًا على وجهَي جون وميغ. وشعرت جو أنَّ كآبتها لا مبرِّر لها وسط سعادة كلِّ مَن حولَها.

قالت السيِّدة مارش: «لقد هبّت رياح التغيير... كلُّ عائلةٍ تصادف سنةً مليئةً بالأحداث، حافلةً بضروب الأتراح والأفراح. تلك كانت حالَ السَّنة الأخيرة، ولكنَّها انتهت على خير في النهاية.»

قالت جو: «آمل أن تكون السَّنة الـمقبلة أفضل.»

وقال جون وهو يبتسم لـميغ: «آمل أن تنتهي السَّنة الثالثة على أفضل ما يرام.»

وكانت عبارة جون تدلُّ على أنَّه اتّفق مع ميغ ووالديها على فترة خطبةٍ تـمتدُّ ثلاثَ سنواتٍ يعملان خلالها على تدبير أمورهما واستكمال استعداداتهما.

ودخل لوري يحمل الورود للخطيبَيْن. وعمَّ الفرح جوَّ البيت الذي بدأت ترفرف فوقه أجنحة السَّعادة.



الفصل الواحد والعشرون

شائــعــــة

لـم يطرأ كثيرٌ من التبدُّلات طوال السنوات الثلاث التالية على الأسرة الهادئة. انتهت الـحرب وعاد السيِّد مارش آمنًا إلـى بيته. أمّا جون بروك فكان يكافح برجولة، ويكرِّس نفسه للعمل كي يوفِّر منزلاً لـميغ. وبسبب عصاميَّته الشَّديدة، رفض أكثر من عرضٍ سخيٍّ من قِبَل السيِّد لورنس، وآثر أن يكدَّ معتمدًا على نفسه.

أمَّا ميغ فقد كانت تـمضي الوقت بين العمل والانتظار، وتزداد خبرةً بشؤون الـمنزل كما تزداد جمالاً. وكان الـمستقبل يزداد إشراقًا، حين كانت تـجلس مع جون عند الغروب، وهما يتحدَّثان عن مشاريعهما الصَّغيرة.

وامتنعت جو عن الذهاب إلى بيت العمَّة مارش، وقد آثرت إيمي التي عرفت كيف تسايرها، وتفرّغت للأدب، الذي كان يَدُرُّ عليها بعض النقود. أمَّا لوري الذي كان قد التحق بالكلّية، إرضاءً لجدِّه، فقد بات شغوفًا بها إرضاء لمستقبله.

صار اسم البيت الذي هيَّأه السيِّد بروك لميغ برج الحمام. كان بيتًا مُنمْنَمًا ذا حديقةٍ صغيرةٍ خلْفه، ومدخلٍ معشوشبٍ ضيِّقٍ أمامه، حيث أرادت ميغ أن تزرع الأزهار والشُّجيرات الخضراء الصغيرة، وفي وسطها نافورة ماء. لم يكن البيت باذخًا ولكنَّه كان ساحرًا بأثاثه البسيط وترتيبه الأنيق.

قالت السيّدة مارش تسأل ابنتها وهي تتأبَّط ذراعها وتدخل معها المملكة الجديدة: «هل أنت راضية؟ هل يبدو لك منزلاً لائقًا وتشعرين بأنَّك ستكونين سعيدة هنا؟» وكان جواب ميغ أنَّها تشعر بسعادةٍ لا توصف، وأنَّ الفضل في ذلك يعود إلى كلِّ من حولها. وتابعتْ مع أمِّها وأختها بيث تفقُّد أرجاء المنزل، ورحن يتندَّرن حول مواقف العمَّة مارش من حرمان ميغ هديَّة الزواج.

كان الـجميع في انتظار لوري في زيارته الأسبوعية التي تعتبر حدثًا مُهمًّا في حياة تلك الأسرة الوادعة. ويأتي لوري حاملاً معه هديّةً مُغَلَّفةً إلى ميغ. ولـمّا لاحظ نظرات الدَّهشة والاستفسار في عيون مَنْ حولَه، قال: «إنَّها شيءٌ مفيدٌ للـمنزل في حالة الـحريق أو السَّرقة. وما عليك إلّا أن تهزّي هذا الـجهاز إذا ما شعرت بالـخوف حتَّى يوقظ الـجوار في الـحال.» وجرَّب لوري الـجهاز أمامهنَّ إثباتًا لكلامه.

انفردت جو بلوري قليلاً وطلبت إليه تغيير سلوكه. وقالت له إنَّه يبدِّد كثيرًا من الـمال على الآخرين، وإنّ كرمه الزائد وطيبة قلبه، يجعلان الآخرين يطمعون في ماله. وانتقدت جو إسرافه في ملابسه وتأنُّقه الـمفرط.

كانت لهجة جو أقرب إلـى التقريع، ومع هذا لـم يُبدِ لوري استياءً، وأخذ الـموضوع بشيءٍ من الـمزاح كعادته. وحاول أن يُغيِّر مـجرى الـموضوع بالـحديث عن فتًى صغيرٍ يدعى باركر مولع بإيـمي. وقال إنَّه يتحدَّث عنها دائمًا ويكتب لها الشِّعر. ولعلَّ من الأفضل أن يضع حدًّا لهذا الـموضوع من البداية.

قالت جو بشيءٍ من الـحدَّة: «طبعًا، فنحن لا نريد زيجةً أخرى في عائلتنا حتَّى سنواتٍ مقبلات.» قال لوري: «الأيَّام تـمضي بسرعةٍ والدَّور الآتي دورك.»

قالت جو: «لا تُكملْ، لا أحد يريدنـي.»

قال لوري وهو ينظر إلـى جو نظرةً ذات معنى: «إنّك لا تدعين فرصةً لأحدٍ، ولا تظهرين الـجانب الرقيق من شخصيّتك. وإذا ما وجد أحدهم بصيصًا من نور وحاول أن يبديَ إعجابه، فسرعان ما تـحبطينه، وتـحتدُّ طباعك بحيث لا يعود أحدٌ يجرؤ على لـمسك أو النّظر إليك.»

قالت جو مـحتدَّةً: «أنا لا أحبُّ تلك الأشياء. أنا مشغولةٌ جدًّا، ولا وقت عندي لـمثل هذا الهراء. لا تقلْ مزيدًا في هذا الـموضوع، فعرس ميغ يشغلنا جميعًا.»

قال لوري وهو يودّعها عند البوّابة: «تذكّري يا جو أنّك التّالية.»

الفصل الثاني والعشرون

العُرسُ الأوّلُ

بدت ميغ كوردةٍ متفتّحةٍ مثل أزهار حزيران في ذلك اليوم. كانت لا تريد الملابس الزاهية ولا عرسًا من الأعراس المتعارف عليها. فهي تريد عرسًا لمن تحبُّهم وتشعر بذاتها بينهم. ولقد أعدّت ثوب عرسها بنفسها. وكانت الحلية الوحيدة التي تقلّدتها زنابق الوادي التي يحبُّها جون أكثر من أيَّة أزهارٍ أخرى.

قالت إيمي وهي تُقلِّب نظرها في أختها بإعجابٍ: «إنّك تبدين كميغ التي عهدناها دومًا مع فارقٍ واحدٍ هو أنّك اليوم جميلة جدًّا ورقيقة جدًّا، وكم أودُّ أن أعانقك لولا خوفي من أن

أفسد ثوبك.» فتحت ميغ ذراعيها لشقيقتها وقالت: «قبِّليني ولا تبالـي بثوبي.»

بدت شقيقات العروس الثلاث في أبهى حلّةٍ وأجمل زينةٍ بلباسهنّ الفضِّيّ ووجوههنّ النضِرة الـمستبشرة.

لـم تكن هناك كما اتُّفق مظاهر احتفاليةٌ، وكان كلٌّ شيءٍ يبدو طبيعيًّا. ولهذا استهجنت العمّة مارش عندما وصلت أن تـجد العروس تُهرع للترحيب بها، وأن تـجد العريس وقد لفَّ حوله طوقًا من الأزهار، وقالت بلهجة استنكارٍ لابنة أخيها إنّ على العروس أن تتصدَّر في مكانها حتَّى آخر لـحظةٍ كي يراها الـجميع. أجابتها ميغ مُحتدّةً بأنَّها ليست للعرض، وأنّ الـحضور لـم يأتوا كي يـحدِّقوا فيها، أو ينتقدوا ثوبها، أو يُحصوا تكلفة الـمأدبة الصَّغيرة التي أعدّتها. إنَّها سعيدة بـما يقوله الآخرون وهي تريد أن تكون حفلة العرس على هواها.

عمَّ سكوتٌ مفاجئٌ عندما وقف السيّد مارش والعروسان تـحت القوس وتـحلَّقت حولَهم الأمُّ وبناتها. لـم يسمع أحدٌ تقريبًا صوت العريس الـمرتعش، في حين قالت العروس بثقةٍ وصوت جليٍّ وهي تنظر في عينَيْ عريسها: «أوافق.»

استطاعت جو اللَّصيقة بالعروس أن تـحبسَ دموع الفرح. وأخـفت بـيث وجـهـهـا في صـدر أمِّـهـا، في حين وقـفت إيـمـي شـامـخـةً كـتمثال رشيق. كـانت جبـهتـهـا نـاصعة البيـاض كنور الشّمس وشعرها قد ازدان بالأزهار.

ما إن تـمّت آخر خطوةٍ في إجراءات عقد القران حتَّى بكت ميغ قائلةً: «أوّل قبلة لـمارمي.» وبدت العروس كوردة مُتفتّحةٍ وهي تتلقّى التهانـي. كان كلُّ شيء على ما يرام رغم بسـاطتـه. وبـعـد تنـاول العشـاء الـخـفـيـف، تفرَّق الـمدعوّون في أرجاء الـمنزل والـحديقة.

وتـحـلَّق الأزواج حـول الـعـروسين وراحـوا يـرقصـون وقـد تشـابـكـت أيـديـهـم، فـيمـا اصـطـفَّ العزّاب والعـوازب أزواجًـا أزواجًـا. ورقص الـجـمـيـع بـمـرح وسـعـادةٍ. تـمـنّت العمّة مارش السَّعادة للعروس وباركت لها وفي نفسها شيءٌ من الغصّة.

لـم يكن بيت الزوجيَّة الصغير بعيدًا عن بيت أسرة مارش. وكان على العروسَيْن أن يـخطوَا خطواتٍ قليلةً حتَّى يصلا إلـى

عشِّ الزوجيَّة. وعندما وصلت العروس إلى الباب بثوبها الأبيض الرائع، التفَّ الجميع حولها لوداعها. كانوا يتابعونها بوجوه ملؤها الحبُّ والأمل، وهي تبتعد متّكئةً على ذراع زوجها ويداها ممتلئتان بالورود. وهكذا بدأت حياة ميغ الزوجيّة.

الفصل الثالث والعشرون

محاولاتٌ فنّيّة

يحتاج الناس إلى وقت طويل حتّى يتعلّموا الفرق بين الموهبة والعبقريّة، ولاسيّما لدى الطامحين من الشُّبّان والشّابّات، غير أنّ إيمي كانت تتعلّم هذا الفرق بينهما من خلال الكثير من المحن. فهي قد جرّبت في البداية، الرّسم بالرِّيشة والحبر وأحرزت نجاحًا. ولكنّها ما لبثت أن تحوّلت إلى الرّسم بالفرشاة والألوان، مستوحية لوحاتها من الرِّيف والبحر، ومتأثِّرة بأعمال الرسّامين الكبار. وجرّبت بعد ذلك الرّسم بالفحم كما استعملتِ الطِّين والجَصّ.

ومع تقلُّبها في تـجارب الفنِّ ومـمارساته، فهي لـم تغفل الـجانب الاجتماعيَّ من الـحياة، فقد كانت تتعلَّم وتتمتَّع بأشياء أخرى، لأنَّها كانت تتطلَّع إلـى أن تكون امرأةً لافتةً للنَّظر. واستطاعت بحصافتها أن تـحقِّق نـجاحًا في هذا الـمجال.

وذات يوم طلبت من والدتها أن تسمح لها بدعوة عددٍ من زميلاتها قبل أن ينقضي العام الـمدرسيّ، لقضاء يوم في أحضان الطَّبيعة، وأن تُحضّر لهنَّ بعض الـمآكل والـمشروبات. وقالت إنَّها ستستأجر عربة للنزهة تكفي لعدد الـمدعوَّات اللَّواتي تتوقَّع إيـمي حضورهنّ.

وجدت السيِّدة مارش أنَّ فكرة ابنتها ربَّما تكون باهظة التكاليف حتَّى وإن تطوَّعت إيـمي أن تدفع هذه التكاليف من جيبـها. واقترحت الأمُّ دعـوةً أقـلَّ كـلـفـةً وأكثر تـواضعًا، دعـوةً مـختلفةً عمّا اعتادتْهُ زميلاتها من حفلاتٍ أو دعواتٍ باذخة، إلَّا أنَّ إيـمي أصرّت على موقفها لأنَّها أرادت أن تظهر وليمتها بالـمظهر اللائق.

وافقت الأمُّ تاركةً الأمر إلى حسن تدبير ابنتها. وسرعان ما ذهبت إيمي سعيدةً إلى شقيقاتها لتُطلعهنَّ على خطَّتها. وافقت ميغ في الحال، وأبدت استعدادها لتقديم كلِّ مساعدةٍ ممكنة. ولكنَّ جو امتعضتْ من الفكرة ووجدتْها مضيعةً للوقت والمال من دون طائل.

دافعت إيمي عن فكرتها بحرارة، وعن زميلاتها اللَّواتي كنّ طيِّباتٍ معها ويتمتَّعنَ بمواهب عديدةٍ، ورأت أنَّها من خلال مثل هذه المناسبات، تستطيع أن تكتسب مودَّة الآخرين، وتدخل المجتمعات رفيعة المستوى. وهذه أمورٌ تحرص عليها.

وافقتْ جو على مساعدة أختها على مضض. وسرعانَ ما أُرسلت الدعوات. ولكنَّ هذه العجالة أدَّت إلى نوعٍ من الاضطراب في تحضير الأطعمة، كما أدَّت إلى سوء تقدير للتَّكاليف، فجاءت النَّفقات أكثر بكثير ممَّا توقّعت إيمي. وزاد الطِّين بلَّةً، أنَّ كلاً من بيث وميغ، ولأسباب قاهرة، اضطرَّتا إلى عدم مساعدة إيمي في زحمة الاستعداد للوليمة. واعترفت إيمي بأنَّه لولا مساعدة أمِّها لما كان بوسعها أن تُنقذ الموقف.

بدا الغداء في الوقت الـمحدّد رائعًا. وتعهّدت الأمُّ وميغ مسؤوليَّة التأهيل بالضُّيوف، في حين تطوَّعت بيث لـمساعدة حنَّة وراء الكواليس. أمَّا جو، فقد تعهَّدت أن تكون بشوشة لطيفة الـمعشر مع الـجميع. وراحت إيـمي تُمنّي النفس بتمضية أوقاتٍ سعيدةٍ بعد الغداء، عندما تذهب مع رفيقاتها في جولةٍ فنّية.

خفَّت حماسة الأسرة مع هطول الأمطار قبل وقت الغداء. ولكنَّ إيـمي كانت واثقةً من حضور الـمدعوّات، وانهمك كلُّ من في الـمنزل في إعداد الطَّعام. وعند السَّاعة الثانيةَ عشرةَ، كان كلُّ شيءٍ جاهزًا، فطلبت إيـمي عربة النزهة وذهبت مسرعةً للقاء ضيوفها.

سـمـعتِ السيِّدة مـارش أصـوات دبـدبـةٍ فـقـالـت: «إنّـهـنَّ قـادمـاتٌ،» وهُـرعت إلـى الرّواق لاستـقبـالـهنّ، ولـكنّـهـا ارتـدَّت خائبةً عندما لـم تـجد في العربة سوى إيـمي وضيفةٍ واحدة. وصاحت على بيث كي تساعد حنَّة في إعادة ترتيب الـمائدة؛ إذ سيكون من السُّخف وضعُ كلِّ هذه الصُّحون والطَّعام لضيفةٍ واحدة.

ورغم هذا، فقد كانت إيمي سعيدةً برفيقتها الوحيدة التي لبَّت الدَّعوة. وسُرَّت الآنسة أليوت بجوِّ البهجة من حولها. وبعد الغداء، اصطحبت إيمي رفيقتها في جولةٍ قريبةٍ دامت حتّى الغروب. وعندما عادت مساءً متعبةً، كان كلُّ أثر للنُّزهة قد اختفى.

كانت إيمي حزينةً لما أصابها من خيبة أملٍ فقالت بأسى: «أشعر بالغثيان من منظر الطَّعام، ولا داعي للإكثار من الأكل حتَّى لا تُصَبْن بالتُّخمة مثلي فتؤذين أنفسكنَّ.»

علَّقت جو ساخرةً على عودة إيمي مع ضيفةٍ واحدة. أمَّا الأمُّ فقالت مواسيةً: «أنا آسفةٌ جدًّا لشعورك بخيبة الأمل، ولكنَّنا جميعًا بذلنا كلَّ ما في وسعنا لإرضائك.» قالت إيمي وفي صوتها رعشةٌ: «أنا راضيةٌ. لقد قمتُ بما التزمتُ به، وليس خطئي أنَّني أخفقت وهذا عزائي. أشكركنَّ جميعًا على مساعدتي. وسأشكركنَّ أكثر إن لم تُلَمِّحن إلى هذا الموضوع طوال شهر.»

لم يُثر أحدٌ هذا الموضوع طوال شهورٍ، ولكنَّ كلمة «وليمة» كانت تبعث على الابتسام بين الجميع.

الفصل الرابع والعشرون
دروسٌ في الأدب

ابتسم الحظُّ لجو فجأةً، وكانت قد عادت تمارس هواية الكتابة الأدبيَّة بهمَّةٍ ونشاط. وعندما كان يأتيها الإلهام، كانت تستغرق في كتابةِ أحداثِ روايتِها. وذاتَ يومٍ، اصطَحَبَت الآنسة كروكر لحضور محاضرةٍ تاريخيَّة. وفي قاعة المحاضرات، تعرّفت إلى شابٍّ كان جالسًا بجوارها مُستغرقًا في قراءة جريدة. ولمّا وجدها الشَّابُّ مهتمَّةً بما يقرأ، أعطاها نصف الجريدة قائلاً: «هل تريدين القراءة؟ إنَّها قصَّةٌ رفيعة المستوى.» وقرأت جو، وسرعان ما غرقت في تفاصيل القصَّة وأحداثها. وعندما سألها الفتى عن رأيها في القصَّة بعد أن أتمَّت قراءتها، قالت له:

«أعتقد أنَّنا نستطيع أن نكتب مثلها إذا حاولنا.» فأجابها الفتى بأنَّ الذين يكتبون مثل هذه القصص يكسبون جيِّدًا. وأشار إلى اسم الكاتبة تحت العنوان.

بدأت المحاضرة، ولكنَّ جو لم تُلقِ لها بالاً. كانت مشغولةً بالتفكير في الكتابة إلى الصَّحيفة وفي الجائزة التي يمكن أن تحصل عليها لقاء قصَّة عاطفيَّة. وما إن انتهت المحاضرة ونهض الحاضرون، حتَّى كانت عناصر القصَّة قد تجمَّعت في مخيِّلتها وراحت تستعرضها في ذاكرتها.

لم تنبئ جو أحدًا عن خطَّتها، وانكبَّت على كتابة قصَّتها. وعندما فرغتْ أرسلتها بالبريد إلى الصَّحيفة، مشفوعةً بملاحظة تقول: «إن لم تنل القصَّة الجائزة، فأنا سأكون سعيدةً بأيَّة مكافأةٍ تستحقُّها.»

كانت الأسابيع السّتة فترةً طويلةً، حتَّى كادت جو تفقد الأمل في نشر قصَّتها. ولكنَّ رسالةً وصلتها أحيت الأمل في نفسها من جديدٍ، إذ ما إن فتحتْها، حتَّى سقط في حضنها شيك بمئة دولار. وبعدما استفاقت من المفاجأة، أخذت تقرأ الرِّسالة

وتبكي، فقد كانت الرِّسالة بالنسبة إليها أثمن من الـجائزة، لأنَّها كانت حافلة بعبارات التشجيع.

بدت جو شديدة الفخر والاعتزاز بنفسها عندما فاجأت أفراد الأسرة والرسالة في إحدى يديها والشيك باليد الأخرى، مُعلنـةً فوزها بالـجائزة. عـمَّ البِشر الـجميع، وراحت أختاها تتخاطفان الـجريدة لقراءة القصَّة، إلّا أنَّ والدها اكتفى بهزٍّ رأسه قائلاً: «تستطيعين تقديـم ما هو أفضل يا جو، تطلَّعي نحو الأسمى ولا تفكِّري في النقود.»

قالت إيـمي: «أظنُّ أنَّ النقود هي أفضل ما في الـموضوع. ماذا تنوين أن تفعلي بثروةٍ كهذه؟»

أجابت جو بسرعة: «أودُّ أن أرسل أمّي وبيث إلـى شاطئ البحر لقضاء شهرٍ أو اثنين هناك.»

صاحت بيث: «أوه! يا لها من فكرةٍ رائعة. ولكنَّني لا أستطيع ذلك لأنَّني سأكون أنانيَّةً إن فعلت.»

قالت جو: «بل ستذهبين. هذا ما كنت أفكِّر فيه. وهذا ما جعلني أنـجح.»

وأخيرًا، ذهبت الأمُّ وابنتها بيث إلى شاطئ البحر. وكانت جو سعيدة راضية عن الوجه الذي أنفقت فيه جائزتها. وانصرفت إلى العمل مستبشرة، وربحت الكثير من الجوائز التي كانت تنفقها في تسديد بعض نفقات المنزل في ذلك العام.

لم تلفت قصص جو الأنظار كثيرًا، ولكنَّها كانت تجد سوقًا رائجةً للنَّشر، وهذا ما شجَّعها على إعادة نسخ رواياتها، وتقديمها إلى إحدى دور النَّشر التي اشترطت لنشرها أن تُختصر إلى ثلث حجمها. وطُبعت بالفعل ونالت جائزةً نقديَّةً مقدارها ثلاثمئة دولار.

الفصل الخامس والعشرون

خبراتٌ منزليّة

بدأت ميغ حياتها الزوجيَّة بالتَّصميم على أن تكون سيِّدة منزلٍ نموذجيَّةً. فالبيت ينبغي أن يكون فردوسًا لجون الذي ينبغي أن تستقبله دومًا بابتسامة، وأن توفِّر له كلَّ أسباب الراحة. وكانا زوجَيْن سعيدَيْن حتَّى بعدما اكتشفا أن ليس بالحبِّ وحده يحيا الإنسان. كانا يشعران أنَّ بيتهما الصَّغير هو عشُّهما الهانئ، وأنَّ حياتهما الزوجيَّة ينبغي أن تسير نحو الأفضل.

لم تخلُ بداية حياة ميغ الزوجيَّة من بعض المآخذ الصَّغيرة، وخصوصًا في تحضير بعض أصناف الحلوى. ولكنَّها لم تَدَعْ مثل هذه الهموم تَشغلها. وكانت تُحدِّث نفسها باعتزاز:

«يستطيع زوجي أن يُحضر من يشاء من أصدقائه. سأكون مستعدَّةً دومًا: بيتٌ أنيقٌ ومرتَّبٌ، وزوجةٌ تُشيع البهجة، وطعامٌ لذيذ، وترحابٌ جيِّد.» وكانت سعادة جون ببشاشة زوجته وحُسن ترتيبها لا توصف، وكان حريصًا بدوره على ألّا يُحضر أحدًا من أصدقائه معه إلى المنزل من دون أن يُعلِم زوجته مسبقًا بذلك.

وذات يوم، عاد جون إلى «عشِّ الزوجيَّة» فوجد الباب مغلقًا خلافًا للمألوف، والسَّتائر مسدلةً، وزوجته التي تعوَّد أن تستقبله بالتّرحاب غير موجودة. وخشي أن يكون قد أصابها مكروه. فطلب إلى صديقه سكوت أن يتفقَّدها في الحديقة، فيما راح هو يدور حول المنزل، وقد اشتمَّ رائحة سكَّرٍ محروق. كانت الفوضى تسود المطبخ، و«الجِلي» المحروق مسكوبًا على الأرض، والسيِّدة بروك تجهش بالبكاء بحرقة. فاندفع جون نحوها ملهوفًا يسألها عمّا حدث. ألقت ميغ بنفسها على كتفيه مستنجدة وقد بدت عليها مظاهر الإعياء والاضطراب. سألها جون بلهفةٍ وهو يُقبّلها بحنانٍ: «ما الذي يُقلِقك يا حبيبتي؟ هل أصابك مكروه؟»

قالت ميغ وهي تبكي: «نعم. «الـجِلي» لا يريد أن يجمد، ولا أعرف ماذا أفعل؟»

عندئذٍ ضحك جون كما لـم يضحك من قبلُ، وابتسم صديقُه سكوت، في حينِ هدأت مـخاوف ميغ. قال لها جون: «لا تهتمّي لِـ «الـجِلي» واقذفي به من النافذة!»

ولكنَّ ميغ عادت إلـى البكاء عندما علمت أنَّ زوجها قد دعا سكوت إلـى الغداء. وعاتبتْه لأنَّه لـم يعلمها من قبلُ، وقالت إنّها لـم تـحضِّر شيئًا للغداء لأنَّها كانت مشغولة بـ «الـجِلي.»

استاء جون من هذا الوضع، فقد كان جائعًا مُتعبًا، كما وَجدَ الفوضى ضاربةً أطنابها، والـمائدة فارغةً وزوجته معكَّرة الـمزاج. ولـكنَّه كتم غيظَهُ لأنّ الـجوَّ كان مشحونًا بالتوتُّر. وطلب من زوجته أن تساعده، رغم الفوضى التي تعمُّ الـمطبخ، في تـحضير بعض «حواضر» الـمنزل من جبنٍ وخبزٍ ولـحمٍ باردٍ ولكن من دونِ «جِلي.»

فقدتْ ميغ، الـمُحْبَطَة والـمُتْعَبة، صبرها عند سماعها العبارة الأخيرة. وطلبت من جون أن يصطحب ضيفه ويرحل، لأنّه لن يـحصل على شيء عندها. ودخلت غرفتها غاضبة.

لـم تعلم ميغ ماذا جرى بعد ذلك، ولكنَّ خادمتها لوتي أخبرتْها أنَّهما أكلا كثيرًا وضحكا كثيرًا، وأنَّ سيِّدها أمرها بأن تلقي خارجًا بكلِّ ما له علاقةٌ بتحضير «الـجِلي».

أرادت ميغ أن تُعلم والدتها بما حدث، ولكنَّ شعورها بالـخجل من جرّاء تقصيرها، وحبَّها لـجون منعاها. وبدلاً من ذلك، تزيّنت لزوجها وأرادت أن تطلب منه السَّماح. وعلى الرّغم من أنّ جون كان غاضبًا ومـحرجًا أمام ضيفه، إلّا أنّه كان ينتظر مبادرةً لطيفةً من ميغ.

كانت تـجربة ذلك النهار مناسبةً كي يراجع كلٌّ واحدٍ منهما موقفه وأن يـجد العذر للآخر. وكان كلاهما راغبًا في أن يعتذر من شريكه، ولكنَّ كلَّ واحد منهما تـمسَّك بكبريائه. وران بينهما صمت يبعث على الضّيق. وفيما دفن جون وجهه في جريدته، راحت ميغ تُلهي نفسها بالـخياطة. وسرح ذهنها وتذكَّرت نصائح أمِّها الثمينة حول طريقة معاملة زوجها. كانت هذه النصائح ترنُّ في أذنها واحدةً تلو الأخرى. عندئذٍ، تنبّهت إلـى موقفها وراحت تراجع نفسها.

وسرعان ما تغلَّب كلٌّ منهما على كبريائه واستسمح الآخر وقبَّله بودّ.

وكان خير اعتذار من جانب ميغ، دعوتها لصديق زوجها السيِّد سكوت إلى الغداء والترحيب به بحفاوةٍ بالغةٍ.

وتدور الأيَّام ويعود لوري ذات يومٍ إلى برج الحمام، فتستقبله حنَّة بالزغاريد. ويسأل بلهفةٍ عن الأمِّ الصَّغيرة فتطمئنه حنّة إليها. وسرعان ما ظهرت جو. كانت تبدو هادئةً ولكنَّ عينيها كانتا تبرقان. طلبت منه أن يُغمِض عينيه، وأَغمض لوري عينيه، وتَعالَتْ ضحكات الجميع. وما إنْ فتحهما ثانيةً حتَّى وجد بين يديه طفلين رضيعين، واستمرَّ الجميعُ بالضَّحك وضحك لوري معهم.

قالت جو عندما استعادت أنفاسها: «إنَّها مداعبة حلوةٌ أليس كذلك؟ فأَنا لم أشأْ أن أخبرك لأنّني أردتها أن تكون مفاجأة.»

واعترف لوري بأنَّها أكبر مفاجأة في حياته. ويُسرُّ كلَّ السُّرور لعلمه أنَّ التوأمَيْن صبيٌّ وبنتٌ. واتَّفق الجميع، بعد المداولة، على تسمية الصَّبيّ «ديميجون» وتدليعه باسم «ديمي»، والصَّغيرة «مارغريت» وتدليعها باسم «ديزي.»



الفصل السادس والعشرون

دعـــــوات

تـجـادلت الشَّـقـيـقـتـان جو وإيـمي حـول قـبـول دعـوة أسـرة تشيستر لهما. كانت جو كعادتها، عازفةً عن قبول الدَّعوات، ولكنّ إيـمي ألـحَّت عليها كي تصطحبها. وأمضت الأختان وقتًا طويلاً في اختيار الـملابس والزينة الـمناسبة. وانطلقتا أخيرًا لتلبية الدَّعوة. وفي الطَّريق، لـم تنسَ إيـمي أن تُلفت انتباهَ أختها جو إلـى ضرورة عدم إبداء أيَّة ملاحظاتٍ فجَّةٍ، أو ارتكاب أيِّ تصرُّفٍ غريب، فوعدتْها أن تَلْزَمَ الصَّمتَ وأن تكون في غاية الهدوء.

ومع ذلك، فقد أساءت جو التصرُّف مع السيِّدة تشيستر، التي حاولت أن تـجاذبها أطراف الـحديث. والتزمت الصمت من

دون مبرِّر. وهذا ما أغاظ السيِّدة تشيستر كما أغاظ أختها إيمي، التي شعرت بالخيبة لأنَّ أختها خذلتها. وقالت لها مُوبِّخةً: «كيف تفعلين ذلك بي؟ أردتُك أن تتصرَّفي باتِّزانٍ ووقارٍ، لا أن تكوني جامدة كالحجر. حاولي أن تكوني اجتماعيَّةً ومتحدِّثةً كسائر الفتيات، واهتمّي بمظهرك وحركاتك.» وعدتْ جو شقيقتها أن تغيِّر سلوكها وأن تثرثر وتقهقه. وسرعان ما غيَّرت في سلوكها وتحوَّلت من الإفراط إلى التفريط. وأُسقط في يد إيمي مرَّةً أخرى، وهي تجد أختها تخوض في أحاديثَ لا معنى لها، أو تلقي الكلام جُزافًا. ولم تجد سبيلاً إلى التخلُّص من هذا الإحراج، وخصوصًا عندما اختصرت أختها الزيارة بصورةٍ مفاجئةٍ ومقتضبة، وهذا ما جعلها تخرج من الغرفة مسرعة.

قالت جو بعد أن خرجتا: «ألم أفعل ما يجب على أحسن ما يرام؟» وكان جواب إيمي السَّاحق: «لا شيء يمكن أن يكون أسوأ ممَّا فعلت. ما الذي دعاك إلى مثل هذه الأحاديث الفارغة عن أمتعتي؟»

ـ «لقد كان الأمر مسلِّيًا للجميع. إنَّهم يعرفون أنَّنا فقراء، فلا داعي للتَّظاهر بأنَّنا نملك أشياءَ رائعةً مثلهم.»

ـ «لـم يكن من داعٍ كي تكشفي لهم فقْرَنا.»

بدت جو مرتبكة وقالت: «كيف تريدينني أن أتصرَّف؟»

فقالت إيـمي باقتضاب: «تصرّفي على سجيَّتك. لقد يئست منك.»

كان الـمكان يعجُّ بالفتيان. وعزمت جو على أن تستمتع بوقتها معهم. أمّا إيـمي فقد توجَّهت إلـى السيِّد تيودور، الذي تكنُّ لأسرته احترامًا كبيرًا. ولكنَّ حديثها الـممتع مع ذلك الشابِّ النبيل، لـم يُثنها عن البحث عن أختها جو.

كانت جو جالسةً على العشب وسط ثُلَّةٍ من الفتيان تتحدَّث عن واحدة من مهازل لوري، غير آبهةٍ باتّساخ ملابسها.

قالت لها إيـمي وهي تتجنَّب إبداء ملاحظةٍ تتعلَّق بثوبها ومظهرها:

ـ «لـماذا تتجنَّبين السيِّد تيودور دومًا؟»

ـ «أنا لا أحبُّ معشره. إنَّه يتحدَّث عن أهله من دون احترام.»

ـ «ينبغي أن تعامليه بطريقة مُهذَّبة على الأقلّ، سيكون من اللائق أن تغيّري سلوكك نحوه.» فرفضت جو وامتعضت إيـمي منها مـجدّدًا.

اتّجهت الفتاتان بعد ذلك إلـى زيارة عمّتهما السيِّدة مارش بعد مـمانعةٍ من جو. كانت العمَّة مارش منهمكةً في حديثٍ مع العمّة كارول عندما دخلت الفتاتان. وسرعان ما استطاعت إيـمي بـذكـائـهـا وحُسن تصرُّفهـا أن تـكسب ودَّهـمـا، وتشاركـهـمـا في أحاديثهما. وهذا ما جعل السيِّدة مارش تثني على إيـمي وتُبدي إعـجـابـهـا بـهـا وبـزيـارتـهـا لأسـرة تشيستر. في حين لـم تـرقْ ملاحظات جو للعمّة مارش والسَّيِّدة كارول اللّتين راحتا تتبادلان نظراتٍ تنمُّ عن استهجانٍ لتصرُّفات جو، وطريقتها في الـحديث عن الآخرين أو عن نفسها، خلافًا لشقيقتها إيـمي التي كانت تتصرَّف بكثير من اللّباقة والكياسة. وهذا ما ترك أجمل انطباعٍ لـدى الـعـمَّـة كـارول الـتـي صـمّمت على أن تساعد إيـمي على تـحقيق أمنيتها في السفر إلـى روما ذات يوم.

الفصل السابع والعشرون
عواقبُ الأفعال

كانت الدَّعوة إلى معرض السيِّدة تشيستر بمثابة تكريمٍ وتشريفٍ لكلٍّ من يُدعى إليه. وكانت كلُّ سيِّدةٍ في الجوار، تهتمُّ لِحضوره. وقد وُجِّهت الدَّعوة إلى إيمي، في حين لم تُدْعَ جو لحضور المعرض. وكان كلُّ شيء يسير على ما يرام قبل يوم واحدٍ من الافتتاح، لولا حدوث أحد أهمِّ المنغِّصات التي لا يمكن تجنُّبها عند التحضير لعملٍ جماعيٍّ كهذا.

كانت ماي تشيستر تشعر بالغيرة، لأنَّ إيمي كانت مُفضَّلَةً عليها. فالعمل الفنّيُّ الذي قدَّمتْه إيمي، كان أفضل ممَّا قدَّمت ماي، وتيودور الذي كان محطَّ الأنظار، رقص أربع مرَّاتٍ مع

إيمي في حين لم يرقص إلّا مرَّةً واحدةً مع ماي. هذا بالإضافة إلى تسرُّب شائعةٍ تقول إنّ ابنتَيْ أسرة مارش تسخران منها. وتضافرت هذه العوامل لتدفع بالسيِّدة تشيستر إلى أن تسحب طاولة عرض رئيسيَّةٍ من إيمي، كانت أمضت وقتًا طويلاً في ترتيبها على أحسن وجه، وتُعطيها إلى بناتها. حينها، شعرت إيمي بأنَّ وراء الأكمة ما وراءَها، وقالت معبِّرةً عن استيائها للسيِّدة تشيستر: «لعلَّك تفضِّلين ألَّا آخذ أيَّة طاولة؟»

قبلت إيمي عرض السيِّدة تشيستر على مضضٍ، بالانتقال إلى منصّةٍ أخرى، دون أن تأبه إلى تذرُّعها بأسباب واهية، أو إلى ملاحظات ماي التي حاولت أن تلطِّف من الموقف. وشعرت الأخيرة بالاكتئاب والندم، وتمنَّت لو أنَّها لم تدفع أمَّها إلى هذا التغيير. وكذلك شعرت السيِّدة تشيستر بالندم.

كان الوقت ضيِّقًا على إيمي كي تعاود تحضير منصّتها من جديد، فضلاً عن انشغال كلٍّ من حولها بما يخصُّه. وشعرت أنَّ كلَّ شيء يسير في اتّجاه معاكسٍ لرغبتها. ولكنّها صمَّمت على أن تصمد وتثبت جدارتها، بدلاً من أن تستسلم للغضب، ووافقتها أمُّها على موقفها هذا وشجَّعتها وعليه.

وفي اليوم التالـي شعرتْ ماي تشيستر بأنَّها لا تستطيع أن تعرض الـمشغولات الـجميلة التي وضعتها إيـمي على الـمنصّة التـي كـانت لـهـا. واقترحتْ إحـدى رفـيـقـاتـهـا اللَّواتي كـنَّ إلـى جانبها، أن تعيد إيـمي معروضاتها إلـى الـمنصّة. سمعتْ إيـمي كـلامـهـمـا وهـمـا تـتـهـامسـان، ووافـقـت فـورًا على فـكـرة إعـادة معروضاتها، وقامت بذلك بالفعل. وهذا ما أثار إعجاب بعض رفيقات ماي.

استعادتْ إيـمي روحَها الـمعنويَّة، كما استعادت منصَّتُها جمالها وحسن ترتيبها، بـما أضفت عليها يداها الـماهرتان من رونقٍ، وكان نهارًا طويلاً وشاقًّا بالنِّسبة إليها إذ جلستْ وحيدة خلف منصَّتها.

كانت منصَّة إيـمي الفنيَّة، الـمنصَّة الأكثر جاذبيَّةً في قاعة الـمعرض، وكـان الـمدعوُّون يتـحلَّقـون حـولـهـا طـوال النـهـار. وعندما عادت إلـى البيت في ساعة متأخِّرةٍ من اللَّيل، كان الإعياء باديًا على وجهها الشَّاحب من عناء يومٍ طويل.

تـمنَّت إيـمي في اليوم التَّالـي أن تعزِّز منصَّتها بـمزيدٍ من الأزهـار، كـي تصبـح أكثر جـاذبيَّـةً ولـفـتًـا لـلأنظـار. وقـام لـوري

وأصدقاؤه بمساعدتها على جلب الأزهار الجميلة وترتيبها، وأشاعوا جوًّا من الحيويَّة حول المنصّة.

وكان العرض بمثابة نجاحٍ عظيمٍ لها. إذ نجحتْ في بيع كلِّ ما كان إلى منصّتها من أزهارٍ.

وبعد أسبوع، تلقَّت السيِّدة مارش رسالةً من العمَّة كارول أدخلت السُّرور إلى قلبها. ولمّا ألحّت عليها ابنتاها جو وبيث كي تطلعهما على مضمون الرسالة، قالت السيِّدة مارش إنَّ العمَّة كارول تريد أن تسافر الشهر المقبل، وهي تريد من إيمي أن تُرافقها.

قالت جو معترضةً، وقد فوجئتْ بالاختيار: «أوه، ماما! إنَّ إيمي لا تزال صغيرةً جدًّا. إنّه دوري أوَّلاً. فأنا أتطلّع إلى ذلك منذ وقتٍ طويلٍ، وهي رحلةٌ ستفيدني كثيرًا، فلا بدّ من أن أذهب.»

قالت الأمُّ: «هذا مستحيلٌ يا جو. إن عمّتك اختارت إيمي تحديدًا. ولسنا نحن من نقرِّرُ عندما تقدِّم لنا عمَّتك مثل هذا المعروف.»

بكت جو بحرقة قائلة: «هذا ظلمٌ.. هذا ظلمٌ. هكذا إيمي تحظى دائمًا بكلِّ المسرَّة، وأنا أقوم بكلِّ العمل.»

قالت الأمُّ: «أخشى أن يكون هذا الاختيار من نتائج عملك أنت. لقد شكتْ لـي عمّتُك بعد زيارتك الأخيرة لها مع إيـمي، من سلوكك الفظّ. وهي تقول هنا في رسالتها إنّها كانت تخطّط لاختيارك أنت، ولكنَّ عباراتك الـجافّة جعلتْها تُحْجِمُ عن ذلك. وهي هنا تثني على طباع إيـمي الليّنة ولهفتها على مساعدة الآخرين.»

قالت جو، وهي تتذكّر ما قالت لعمّتها آنذاك، نادمةً:

«ويحكَ يا لساني البغيض! لـماذا لا أتعلّم كيف أُبقيك صامتًا؟»

قالت الأمُّ بأسفٍ: «كنت أودُّ أن تذهبي، ولكن لا أمل في ذلك الآن، لهذا لا تفسدي سعادة إيـمي بالنّدم والتأنيب.»

طمأنت جو أمَّها، وهي تشعر بغصّة مؤلـمةٍ، أنّها لن تفسد على أختها سعادتها، وأنّها ستبذل ما في وسعها كي تبدو سعيدةً لسعادتها.

قالت إيـمي مستبشرةً بهذه السّفرة السعيدة:

«هذه ليست مـجرّد رحلةٍ للمتعة يا عزيزاتي. فهي ستقرّر مستقبل عملي، إذ لو كان لديَّ أيّة موهبةٍ، فسأجدها في روما وسأحاول أن أُثبتها.»

الفصل الثامن والعشرون

متاعبُ موجعة

أسرَّت السيِّدة مارش إلى ابنتها جو بقلقها بشأن بيث: «ثمَّة شيءٌ ما يَشغل بالها، فهي تجلس وحيدةً فترةً طويلةً من دون أن تكلِّم والدها كما تعوّدت أن تفعل. أغانيها حزينةٌ، ونظرة عينيها تدلُّ على شيءٍ غامضٍ لا أعرف كنهه!»

قالت جو: «إنَّها تكبر، ولهذا فهي تحلم.. لديها آمالٌ ومخاوفُ لا تعرف سرَّ تفسيرها. إنَّ بيث في الثامنةَ عشرةَ من عمرها، ومع هذا فنحن لا نزال نعاملها كطفلة.»

أخذت جو تتابع بيث باهتمام، فيما هي تحاول أن تبدو مستغرقةً في شؤونها الخارجيَّة. واستطاعت أخيرًا أن تصل إلى

ما يكشف عن سرِّ تبدُّلها. كانت تـحبُّ الانهماك في الكتابة عند النافذة بعد ظهر يوم السَّبت، وفي نفس الوقت، كانت عينا جو عليها تراقبها. فلاحظت أنَّ أحدهم مرَّ فجأةً من جانب الـمنزل وهو يَصْفُرُ وقال: «كلُّ شيء على ما يرام! تعالـي الليلة.» ابتسمت بيث وهزّت برأسها، وتابعت الشابَّ بنظرها حتّى غادر الـمكان.

تـابعت جـو بـنظرهـا وجه بيث باهـتمام ولاحظت كيف انخطف لونها بسرعة وزالت ابتسامتها. كانت هناك دمعةٌ حائرةٌ في عينيها تـحاول أن تـخفيَها.

صُدمت جو بهول ما اكتشفت: «إنّ بيث تُحبُّ لوري!»

وراحت أفكارٌ كثيرةٌ تعصف بها، ولكنَّها عزمتْ في نفسها على أمرٍ تفعلُه. كان سلوك لوري مع بيث رقيقًا بشكل خاصّ. وبـما أنَّه كان لطيفًا مع الـجميع، لـم يتخيّل أحد أنّه يهتمُّ ببيث أكثر من غيرها. بل إنَّ الانطباع السائد عند الأسرة، هو أنّ لوري مُغرمٌ بجو أكثر من أيَّة واحدة أخرى.

أخذت جو تسترجع في ذاكرتها تصرُّفات لوري معها، وبدأت تكتشف أنَّه كان يتغيّر نحوها تدريجيًّا، وكذلك كان سلوكه يتغيّر.

وذات ليلةٍ، عزمت جو على مراقبة سلوك لوري وبيث عن كثب. ولاحظت أنّهما يتبادلان النظرات الـحانية. وتساءلت بينها وبين نفسها: لعلّها تستطيع أن تُسعده ويستطيع هو أن يسعدها!! وعزمت على أن تبتعد، ولكن إلـى أين تذهب؟ وجلست على أريكتها الـمفضّلة تفكّر في الأمر.

وما كادت جو تضع رأسها على الوسادة، حتَّى سمعت صوت نحيب بيث. كانت بيث تتألَّم وكانت حرارتها مرتفعة، ثم صارت تتفوّه بعباراتٍ يائسةٍ تشير إلـى مرضٍ لا شفاء منه. بعدها تلاشى صوتها فجأةً فشعرت جو بالذُّعر. وأرادت أن تستنجد بوالدتها، ولكنّ بيث منعتْها. وطلبتْ إليها أن تـجلس إلـى جانبها وتُمسِّد لها جبينها. وشعرت جو أنَّ ثمَّة أمرًا يُثقل صدر أختها، فطلبت منها أن تفصح عن مكنون صدرها حتَّى ترتاح. فقالتْ لها بيث: «ليس الآن. لـم يـحن الأوان بعد.» ولكنَّها وعدتها بأن تُعْلمَها في الوقت الـمناسب.

ونامت الشقيقتان جنبًا إلـى جنب. وفي الصَّباح، عزمت جو علـى السَّفر، وصارحتْ والدتها برغبتها هذه متذرِّعة بحاجتها إلى التغيير والتجديد. وقالت إنَّها ترغب في السفر إلـى

نيويورك حيث تستطيع القيام بـما طلبته منها السيِّدة كيرك، وهو تدريس أولادها. كانت الأمُّ قلقةً بشأن غياب ابنتها عن البيت والعمل بعيدًا عنهم، ولكنّ جو طمأنتْها، وأكّدتْ لها أنَّ السفر سيفتح لها آفاقًا جديدةً للكتابة. وعندما ألـحّت والدتها على معرفة الأسباب الـخفيّة لقرارها، زعمتْ جو أنَّ لوري يتقرَّب كثيرًا منها وهي لا تريد أن تتعلّق به في الوقت الـحاضر. فهي تفضِّل أن يكونا صديقَيْن.

اقتنعتِ الأمُّ بغياب ابنتها بعض الوقت، إذ ربَّما كان هذا أفضل لها وللوري. وطلبتْ جو من أمِّها أن يبقى هذا الأمر سرًّا بينهما لا يعلم به لوري. «كما أنّ بيث يجب أن تعتقد أنَّني مسافرةٌ للمتعة، فأنا لا أستطيع أن أتـحدّث عن لوري أمامها، وبوسع بيث أن تواسيه بعد أن أسافر وتشفيه من أفكاره الرومانسيَّة.»

وافقتِ السيِّدة كيرك على استقبال جو، ووعدتْ بإعداد مكانٍ مناسبٍ لراحتها. وكانت جو تتطلّع بشغفٍ إلى آفاق العمل الـجديد وتتوق إلى الالتحاق به في أقرب وقت.

وعندما اكتملت الاستعدادات، أخبرت لوري بشيء من الـخوف عن نيَّتها، ولكنَّ لوري، رغم دهشته، استقبل النبأ بهدوء.

حينها، شعرت بارتياح، وراحت تكمل استعداداتها بقلب مطمئنّ.

وقبل أن تسافر، أوصت أختها بيث بشيءٍ واحدٍ، وهو أن تعتني بفتاها، أي بلوري. فأجابتها بيث: «سأعتني به بالطَّبع، ولكنّني لا أستطيع أن أملأ مكانك، ولسوف يفتقدك كثيرًا.»

قالت جو: «لن يضيره ذلك. تذكَّري فقط أنَّني تركته في عهدتك.»

ووعدت بيث أختها بأن تفعل كلَّ ما في وسعها، ولكنَّها كانت مندهشةً من نظرات جو الغريبة إليها.

وأخيرًا ودَّعها لوري قائلاً إنَّ عواطفه معها، وكانت كلماتُ لوري الحنون آخرَ كلمات الوداع.

الفصل التاسع والعشرون
رسائلُ جو ويَوميّاتُها

في شهر تشرين الأوَّل، كتبتْ جو أوَّل رسالة لها من نيويورك، إلى والدتها وبيث، تقول فيها إنَّ لديها أخبارًا كثيرة، وإنَّ السيِّدة كيرك رحَّبت بها كثيرًا، وهي تشعر وكأنَّها في بيتها. وراحت تتحدَّث في رسالتها بابتهاجٍ عن تفاصيل حياتها الجديدة، وعملها، وإقامتها.

وتحت عنوان ليلة الثلاثاء، كتبت جو تخبرهما عن رجل ألمانيٍّ تعرّفت إليه في المدرسة يدعى الأستاذ باير، وراحت تصفه لهما وصفًا دقيقًا. وقالت إنَّها رغم سوء هندامه وعدم وسامته، إلَّا أنَّها أُعجبت به. وتحت عنوان ليلة الخميس، قالت

إنّها أمضت ذلك اليوم بهدوء في الـخياطة والكتابة والتدريس في غرفتها الصغيرة، وروت لأمِّها وأختها كيف تعرفت مصادفة إلـى السَّيِّد باير وتـحدَّثت إليه.

وسألت جو في هذه الرسالة عن تيدي وقالت: «أتُراه مشغولاً إلـى هذا الـحدِّ بالدراسة، بـحيث لا يجد وقتًا للكتابة إلـى أصدقائه؟!»

وعادت جو فكتبتْ في شهر كانون الأوَّل رسالة خاصَّةً إلـى بيث، تخبرها فيها عن توطُّد علاقتها بالبروفسور باير، وكيف بدأت تتعلَّم الألـمانية على يديه. وقالت إنّها تطوّعت لترتيب غرفته التي كانت تعمُّها الفوضى، ولقضاء بعض حوائجه الضروريّة، وإنّها سعيدةٌ في تقدُّمها باللُّغة الألـمانية، وبسعة صدر البروفسور باير في تعليمها.

وفي شهر كانون الثانـي، بعثت جو برسالةٍ إلـى أسرتها تتمنّى لهم فيها عامًا سعيدًا؛ وتشكرُهم على ما أرسلوه لها من هدايا. وشكرت والدها بشكل خاصٍّ على الكتب التي أرسلها لها. وبـمناسبة الـحديث عن الكتب، توقّفت جو مطوَّلاً أمام

هدية الأستاذ باير، إذ أهداها كتابًا لشكسبير بـمناسبة عيد رأس السَّـنـة. وكـانت سعيدةً جدًّا بـهـذه الـهـديَّة التـي اعتبرتْـهـا باكـورة تأسيس مكتبةٍ خاصَّةٍ بها. وكالعادة في رسائلها الأخيرة، كان الأستاذ باير مـحور حديثها واهتمامها.

كما كانت رسالة جو تنطق بالـحبور والسُّرور، والعزم على متابعة العمل بهمّةٍ ونشاط.

الفصل الثلاثون

الصَّديقُ الجديد

كانت جو، رغم انهماكها في الجوِّ الاجتماعيِّ الذي أحبَّته، والعمل الذي تكسب منه عيشها، تجد وقتًا للكتابة. وكانت ترى أنَّ المال يمنح القوَّة، لذلك، عزمت على أن تحصل عليهما معًا، لا من أجل ذاتها فحسب، بل من أجل من كانت تحبُّهم أكثر من نفسها، وكي تسبغ عليهم كلَّ ما تستطيع من وسائل الراحة.

اختارت جو كتابة القصص العاطفيَّة. وذات يوم حملتْ قصَّةً مثيرةً إلى ناشرٍ يدعى داشوود يعمل رئيسًا لتحرير صحيفة

«ڤولكانو» الأسبوعيَّة. وحرصَتْ على أن تدخل إليه وهي في أفضل لباسٍ، وأن تبدو هادئةً ومتمالكةً أعصابها.

قالت جو، وهي تقدّم مخطوطًا إلى رئيس التحرير طالبةً إليه أن يقرأه، إنّ صديقةً لها طلبت إليها أن تعرض لها هذه القصَّة للنَّشر. ولم تنسَ جو بالطَّبع أن تخبره أنَّ الكاتبة حصلت على جائزةٍ للقصَّة من قبل. فطلب إليها الناشر أن تترك القصَّة عنده لمدَّة أسبوعٍ، وأن تراجعه بعد ذلك.

كان لقاء جو الثاني مع الناشر أكثرَ راحةً لأعصابها من اللِّقاء الأوَّل. وسرَّها أن يُعلمها بأنَّ قصَّتها مقبولةٌ ولكنّها تحتاج إلى بعض التعديل، وأنّ حذف بعض المقاطع يجعلُها مناسبةً تمامًا.

لم تستطع جو أن تعرف مخطوطها من كثرة التشطيب والحذف، ودُهشتْ لأنَّ الانعكاسات الأخلاقيَّة للقصَّة قد حذفت. وعندما استفسرت عن ذلك من الناشر قال لها مبتسمًا: «إنَّ الناس يتطلَّعون إلى التَّسلية لا إلى الوعظ، فالأخلاق لم تعُد تلقى رواجًا هذه الأيَّام.»

رضخت جو إلى رغبة النَّاشر، عندما علمتْ أنَّ القصَّة ستجد طريقها إلى النشر إذا ما عُدّلت، وأنَّ المكافأة مجزية. وقالت له بفرحٍ خفيّ: «هل أخبر صديقتي بأنّكم ستَنْشرون قصّتها إذا ما قدَّمت واحدةً أفضل.» فوعدها الناشر بأنَّها ستكون موضع اهتمام، وطلب منها أن تنصح رفيقتها، التي تصرُّ على عدم ذكر اسمها، بكتابة قصَّةٍ قصيرةٍ ومثيرةٍ، وألَّا تلتفت كثيرًا إلى الجانب الأخلاقيّ.

وسرعان ما اقتحمت جو الأدب العاطفيَّ، مُتّبعةً توجيهات الناشر داشوود. وراحت تعاين كلَّ ما حولَها من شخصيَّاتٍ وموضوعاتٍ ومشاهد. واستمرأت هذا العمل، وكانت فكرة اصطحاب بيث إلى الجبال تلحُّ عليها مع الوقت. ولم يعكّر مزاجها سوى فكرة أنّها أخفتْ عن أمّها وأبيها الطَّريق الذي سلكتْه.

ثمَّ ما لبثت جو أن شعرت بأنَّ تجربتها السَّاذجة في عالم الأدب، تحتاج إلى صقل، ما دفعها إلى العمل بنشاط لاستدراك ما ينقصها. وكذلك دفعها تعطُّشُها وحاجتُها إلى مادَّة تقوِّي إنتاجها، إلى البحث في الصُّحف عن أخبار الحوادث والوقائع والجرائم، كما كانت تحاول قراءة وجوه كلِّ مَن حولَها. ومع

محاولتها إسباغ الكمال على شخصيَّات أبطالها الخياليِّين، اكتشفت أنَّ البطل، مع كلِّ ما فيه من نواقص، يعيش صميم الحياة، وهو ما يثير اهتمامها. ونصحها الأستاذ باير بأن تهتمَّ بالشَّخصيَّات البسيطة والواقعيَّة والجذّابة. وهذا ما دعاها إلى أن تدرس شخصيَّته بالذَّات، إذ بدت لها أشبه باللّغز. فقد كان موضع محبَّة الجميع، رغم أنّه لم يكن غنيًّا ولا وسيمًا ولم تكن شخصيَّته ساحرةً، وإنَّما كانت جذابةً إلى درجة أن يتحلّق الناس حولها كما يتحلّق الفراش حول النار المتوهِّجة. وكانت جو، وهي تراقبه، تحاول استكناه سرِّ هذه الشَّخصيَّة.

ومع المتابعة الطويلة، اكتشفت جو أنَّ السِّرَّ يكمن في نواياه الصَّادقة والطَّيِّبة إزاء مَن حولَه، فضلاً عن ذكائه، وهذا ما جعلها تزداد احترامًا له. وعلمت أيضًا من إحدى زميلاتها أنّ السَّيِّد باير، وإن كان مجرَّد مُدرِّس لغةٍ بائسٍ في أميركا، إلَّا أنَّه كان أستاذًا ذا مكانةٍ رفيعةٍ في برلين.

وازدادت جو إعجابًا بالبروفسور باير، عندما أتيحت لها فرصةٌ لحضور ندوة مختارة، شارك فيها عددٌ من علِّيَّة القوم وكبار المثَّقفين. وبُهرت بما دارَ من مناقشةٍ حول الدِّين وفلسفة

الحياة، وبأسماء مفكّرين من أمثال «كانت» و«هيغل»، إذ لم تكن تعلم عن هذه الشّخصيّات شيئًا. وفي تلك النّدوة، انبرى باير مدافعًا بحماسة عن الدّين ووجود اللّه.

أُعجبت جو بحماسته وروعة منطقه، وبدأت تقتنع منذ ذلك الحين، بأنّ امتلاك الشّخصيّة القويّة الحرّة المؤمنة الواثقة من نفسها، أفضل من امتلاك المال، أو المرتبة الاجتماعية العالية، أو الجمال، وأنّ السّيّد فريدريك باير ليس إنسانًا عاديًّا، بل هو إنسانٌ عظيم.

تعزّزتْ هذه القناعة مع الأيّام. وكانت جو تقدّر مكانته، وتحرص على احترامه، وعلى أن تكون جديرةً بصداقته. واكتشفت مصادفة أنّه كان يعرف بكتابتها في صحيفة ڤولكانو، ولكنّه لم يصارحها بذلك منتظرًا أن تصارحه هي أوّلاً، وعندما انكشف الأمر، أخبرها بأنّه لا يجد مستوى تلك الصحيفة لائقًا، فضلاً عن أنّ كلّ ما تنشره هو تفاهات. ودافعت جو عن قصص الإثارة قائلة إنّ هناك كثيرًا من الأشخاص المحترمين يكسبون عيشهم من كتابة مثل هذه القصص. فأجابها باير بشيءٍ من العصبيّة: «إنّ هؤلاء «المحترمين» يدسّون السّمّ في الدّسم، وهم

يكسبون مالاً حرامًا، ومن الأفضل لهم أن يكنسوا الشَّوارع طلبًا للمال فذلك أشرف لهم.»

شعرت جو بصدمة، ولكنَّها حاولت أن تعزِّي نفسها بأنّ ما تكتُبه قد يكون سخيفًا ولكنّه ليس سيِّئًا! وما إنْ صعدتْ إلى غرفتها حتَّى راحت تعيد قراءة كلِّ قصَّة من قصصها. وسرعان ما شعرت بالاكتئاب بعد أن تجسّمت الأخطاء في عينيها، واقتنعتْ بتفاهة ما كتبتْ، وقالت في نفسها: «ماذا أفعل إذا ما عرفتْ بها أسرتي أو اطَّلع عليها السيِّد؟»

وفجأةً، لمعت في ذهنها فكرة، فحملتْ جميع أوراقها وألقت بها في المدفأة وأحرقتها. وأقلعت عن كتابة قصص الإثارة، وأرادت أن تتحوَّل إلى فنٍّ آخر من فنون الكتابة، كالقصص ذاتِ الطَّابع الأخلاقيِّ أو قصص الأطفال؛ ولكنّها لم تجد قارئًا لها.

وفيما كانت تتفاعل في داخلها عوامل ثورة خفيَّة، كانت حياتها الخارجيَّة تسير كالمعتاد. ولم تعد تتحدّث في هذا الموضوع مع البروفسور الذي كان يعرف أنَّها توقَّفت عن الكتابة. وكان يحاول مساعدتها بشتَّى الوسائل مبرهنًا على أنَّه

صديقٌ حقيقيّ. ولـم تكن جو حقيقةً تعيسةً، فمقابل كسلها في الكتابة، كانت تكتسب أشياءَ كثيرةً إلى جانب اللُّغة الألـمانية، وتضع الأساس لقصّةٍ مثيرةٍ خاصَّةٍ بها.

وجاء حزيران وحان الوقت كي تودِّع جو مَن حولَها وتعود إلى البيت. كان الـجميع آسفين على فراقها، وعلى وجه الـخصوص السيِّد باير، ولكنَّ جو ألـحّتْ عليه وهي تودِّعهُ بالـمجيء لزيارة أسرتها والتَّعرُّفِ بها وبصديقها الـمفضّل لوري.

أحسَّ السيِّد باير بغصَّةٍ وهو يسمعها تتحدَّث عن لوري بحماسةٍ، وخشي أن يكون أكثر من مـجرَّد صديق مفضَّل. ولكنَّه أخفى مشاعره وقال إنَّه يخشى ألّا يتمكَّن من الـمجيء، متمنِّيًا لصديقها النجاح ولها السعادة. وغادر الغرفة بعد أن صافحها بحرارة.

وفي الصَّباح الباكر من اليوم التَّالي، هرع باير إلى الـمحطّة ليكون في وداع جو. فسُعِدَتْ بلقائه في الـمحطّة وهو يحمل لها باقة من أزهار البنفسج، وقالت له قبل أن تَرحل: «لقد انصرم الشِّتاء، ولـم أكتب، ولـم أكتسب مالاً، ولكنَّني اكتسبت صديقًا جديرًا بالصَّداقة وسوف أحافظ عليه مدى العمر.»



الفصل الواحد والثلاثون

آلامُ الحبّ

كان الجميع حاضرين حفلة تخرُّج لوري بدرجة الشَّرف: الجدُّ لورنس الذي كان فخورًا بحفيده، والسَّيِّد والسَّيِّدة مارش وجون وميغ وجو وبيث. وبعد تناول العشاء، ودَّع لوري جو وشقيقاتِها متوقِّعًا أن يقابل جو في اليوم التالي، وكانت قد وعدتْه بالمجيء.

كان القلق باديًا عليهما في بداية اللِّقاء. وشعرت جو أنَّ لوري يريد أن يبوح لها بشيء يُثقل عليه. وحتَّى تساعده على الكلام قالت له إنَّها مستعدَّة لسماع ما يريد الإفصاح عنه.

وهكذا صارحها لوري بحبِّه. وقال لها إنَّه أحبَّها منذ عرفها، وإنَّه أراد أن يبوح لها بسرِّه ولكنَّها لم تُتح له فرصة لذلك. وقال إنَّه يريد أن يعرف جوابها لأنّه لم يعد بوسعه الانتظار. وكان جوابها أنّها معجبةٌ به وأنّه فعل الكثير ليرضيها. واعترفت له بأنَّها حاولت أن تحبَّه، لكنَّها لا تعرف لماذا لم تستطع ذلك. فهي لا تملك أن تغيِّر مشاعرها، ولا يمكن أن تكذب عليه.

أُصيب لوري بصدمة وخيبة أمل شديدة. وشعرت جو بالأسى والرثاء لحاله وأبدت أسفها الشديد. ولكنَّها لا تستطيع أن ترغم نفسها على شيءٍ لا تقدر عليه. وراحت تربّت على كتفه برقّة والأسى يعتصرها.

وران بينهما الصَّمت. كان الموقف عصيبًا. حاولت جو أن تقطع هذا الصَّمت وهمّت بالكلام، ولكنّ لوري رفض أن يسمع شيئًا عن باير مُعتقدًا أنَّها تحبُّه. وهنا أكّدت له أنَّ باير إنسانٌ جيِّدٌ وطيِّبٌ وأنَّه مجرَّد صديقٍ، ولا شيءَ غير ذلك.

وحاولت جو أن تخفِّف من لوعة لوري الذي جثا على ركبتَيْه أمامها، كما حاولت أن تُهدِّئ من روعه. وقالت له بهدوءٍ

إنَّ أحدهما لا يناسبُ الآخر، فكلاهما حادُّ الطباع، وسيكون من الحماقة أن يرتبطا بالزَّواج، وطلبت إليه أن يكونا صديقَيْن فحسب. ولم تفلح توسُّلات لوري في تغيير موقفها، وتمنَّت له الفتاةَ المناسبةَ التي تكون أهلاً لهُ. هنا، فَقَدَ أعصابه وتفوَّه بكلماتٍ أزعجتها ودفعتها إلى صدِّه، وتحوَّل الموقف بينهما إلى ما يشبه المشاحنة.

قال لها لوري: «ستندمين ذات يومٍ يا جو.» وابتعد عنها متأثِّرًا بما جرى.

شعرت جو لبرهة بأنّ قلبها يكاد يتوقّف خوفًا من أن يفعل لوري شيئًا بنفسه، وعادت أدراجَها إلى البيت وهي تفكِّر في ما يمكن أن تقوله للسيِّد لورنس كي يعالج الموقف. وعندما وصلتْ، صارحتهُ بكلِّ ما حدث وراحتْ تجهش بالبكاء.

عاد لوري إلى المنزل متعبًا، فوجد الجدَّ الذي تظاهر عند رؤيته بأنّه لا يعرف شيئًا. أمَّا لوري، فقد توجَّه إلى البيانو وراح يعزف «السوناتا الحزينة» كما لم يعزفْها من قبل.

وأخيرًا صارح الـجدُّ حفيده، مُرَبِّتًا على كتفه بحنان، بأنَّه عرف كلَّ شيءٍ من جو. كان الـموقف صعبًا يدعو إلى التَّروِّي والتفكير. وبعد لـحظاتٍ قليلةٍ، نصحه جدُّه أن يغادر البلاد لفترة من الوقت نشدانًا للسَّلوى. كما اقترح عليه أن يسافرا معًا إلـى حيث يوجد لديه بعض الأعمال التجارية التي تـحتاج إلـى متابعة، مؤكِّدًا أنَّه لن يُثقل عليه بحيث يستطيع أن يذهب إلـى حيث يشاء.

رضخ لوري إلـى رغبة جدِّه، وجاءت لـحظة الفراق. ودّع لوري جميع أفراد أسرة مارش، بـمن فيهم جو. كان الوداع قصيرًا ومقتضبًا. غادر بعدها وابتعد ولـم ينظر إلـى الـخلف، وهنا أدركت جو أنّ الفتى لن يعود أبدًا.

الفصل الثانـي والثلاثون

سرُّ بيث

عندما عادت جو إلى البيت، فوجئت بالتبدُّل الذي طرأ على بيث. كان من النَّوع الذي لا يحسُّ به إلّا من يغيب عنها طويلاً. إذ كانت هناك نظرةٌ شفّافةٌ غريبةٌ في عينيها.

واعتقدت جو بأنَّ رحيلَ لوري أعاد إلى أختها ذلك القلق الغامض، فاقترحت عليها أن تقوما برحلةٍ إلى الشَّاطئ للتَّرفيه عن النفسِ، فوافقت بيث على اقتراحها.

كان هناك سرٌّ ما يعتمل في نفس بيث ويثقل على صدرها وتريد أن تبوح به إلى جو. وذات يومٍ، اقتربت بيث من أختها

وهي مضطجعةٌ، وقالت: «عزيزتي جو، أنا سعيدةٌ لأنَّك تعرفين. حاولت أن أخبرك فلم أستطع.» وتابعت وكأنَّها تريد أن تواسي شقيقتها: «عرفت ذلك منذ زمن. لقد اعتدت ذلك المرضَ الآن، ولم يعد من الصَّعب أن أتحمَّله..»

انتاب جو شعورٌ بالسعادة لأنَّ قلق أختها وتبدُّلها لا علاقة للوري به. وسألتها: «أهذا كلُّ ما يقلقك؟» قالت بيث: «نعم، كنت أراك قويَّةً ومفعمةً بالسَّعادة، وأشعر بأنَّني لا أستطيع أن أكون مثلك.»

ـ «ولماذا لم تخبريني بذلك يا بيث؟ وكيف تحمَّلت العناء وحدك؟ كيف تحمَّلت هذا الشعور بالوحدة؟»

ـ «كانت أمّي مشغولةً بميغ، وإيمي بعيدة، وحسبتُ أنَّك سعيدةٌ مع لوري، فلم أُرِدْ إزعاجك.»

ـ «وأنا كنت أظنُّ أنَّك تحبّينه يا بيث، وهذا ما حملني على الابتعاد.»

نظرت بيث بدهشةٍ إلى جو التي ابتسمَت، رغم ألمها، وقالت:

ـ «إذًا، فأنت لـم تفكِّري في ذلك يا عزيزتي؟»

ـ «كيف يسعني أن أحبَّه يا جو وهو مغرم بك؟ إنَّني أحبُّه فعلاً، لأنّه كان طيِّبًا معي دومًا، ولكنَّه لـم يكن أكثر من أخٍ بالنسبة إلـيَّ.»

وهنا طلبت جو من شقيقتها أن تقاوم الضَّعف وتتغلَّب على الـمرض، وطمأنتها بأنَّها ستفعل كلَّ ما في وسعها كي تقف إلـى جانبها، وراحت تبكي بحرقةٍ، وتعانقت الأختان بحرارة.

كان انفرادهما فترةً من الوقت مناسبةً جيِّدةً كي تصارح كلٌّ واحدةٍ منهما الأخرى بـما يجول في خاطرها، وكي تشدَّ جو من أزر أختها وتبعدها عن الشُّعور بالضَّعف والوحدة.

الفصل الثالث والثّلاثون

انطباعاتٌ جديدة

كانت الساعة الثالثةَ بعد الظُّهر، وكان مشهد مدينة نيس رائعًا في ذلك اليوم المشمس، فـ «الكورنيش» كان يحفل بكلِّ مظاهر البذخ والبهجة والموضة والأشجار الوارفة والأزهار النَّضرة. كما كانت نيس ملتقى الناس من كلِّ أمّةٍ ولسان. وفي يوم عيد الميلاد، كان لقاء إيمي مع لوري في نيس.

صاحت إيمي: «أوه لوري! أهذا أنت حقًّا؟ كنت أظنُّ أنَّك لن تأتي.» فقال لوري: «لقد تأخَّرت ولكنّي وعدتك أن أمضيَ يوم الميلاد معك، وها أنذا.» وجرى بينهما حديثٌ

طويلٌ. بدا لوري أكثر وسامةً، ولكنّه كان متعبًا قانطًا، ولـم تعرف إيـمي السّبب. كانت تريد أن تعرف كلَّ شيءٍ عن حياة لوري الـجديدة، ولاحظت أنَّ ثمَّة تغيُّرًا طرأ على سلوكه وشخصيّته، ولكنَّها لـم تعرف ما كان سبب هذا التغيّر.

كان لدى كلٍّ منهما الكثير من الأسئلة والكثير من الأمور التي يودُّ الواحدُ منهما أن يتحدَّث عنها إلـى الآخر. وركبا معًا. وتـحدّثا طـويلاً. وتركها لوري آملاً اللِّقاء ليلاً ليسهرا سهرة الـميلاد.

تزيّنت إيـمي في تلك الليلة بأجمل زينة، واعتنت باختيار لباسها وحليِّها، وبدت في غاية الـمرح والرشاقة وهي تـختال في قاعة الفندق بانتظار لوري. ولـمحها لوري عن بعدٍ وهي واقفةٌ أمام نافذةٍ بعيدةٍ، فبَدتْ له في وقفتها كإحدى معبودات الرومان. اقترب منها وحيَّاها بإعجابٍ، فردّت له التحيّة وهي تبتسم.

لفتت إيـمي الأنظار في تلك الليلة وهي تستند إلـى ذراع لـوري. وكـانت مستبشرة ترغب في الرقص وفي الاستـمتـاع بوقتها. وعندما عزفت الـموسيقى الـمقطوعة الأولـى تـحرّكت

أطرافها تعبيرًا عن رغبةٍ في الرّقص، فتقدّم منها لوري ليراقصها. قـالت لـه إيـمـي: «أسـتـطـيـع أن أمـنـحك رقصةً بعدما أرقص مع الكونت.» وراحت تُراقص الكونت غير عابئةٍ بلوري وكأنّها تريد أن تلقِّنه درسًا.

نـجحت خطّة إيـمي في إثارة مشاعر لوري. فراح يجاملها بعدما انتهت من رقصتها. وكان سعيدًا بتلبية طلباتها. وسألها بنظرةٍ معجبة: «أين تعلّمتِ كلَّ هذه الأشياء؟» وراح يشير إلـى أسلوبها في التصرُّف وهندامها وطريقة تعاملها.

فقالت متجاهلةً قصده: «حياة الغربة مدرسةٌ للإنسان. إنَّني أدرسَ بـمقدار ما ألهو. أمّا عن لباسي فهو بسيط، وقد اعتدتُ أن أصنـع مـعـظـم أشيائي بنفسي.» ازدادت إيـمي مكانةً في نفس لوري واحترامًا. وأسعدَها أن تـجد لوري يكرِّس وقته لها طوال السهرة. بعد ذلك اللقاء، خرج كلاهما بانطباعاتٍ جديدةٍ عن الآخَر.

الفصل الرابع والثلاثون

لورنس الكسول

ذهب لوري إلى نيس وهو ينوي أن يقيم أسبوعًا، ولكنَّه أقام شهرًا. لقد أنساه وجود إيمي الشعورَ بالغربة. كان كلاهما يرتاح للقاء الآخر، وكانا يمضيان معظم الوقت معًا.. في المشي أو ركوب الخيل أو الرقص. وفي غضون ذلك، كان كلٌّ منهما يزداد اكتشافًا للآخرِ وتقرُّبًا منه.

قالت إيمي للوري: «أنا ذاهبةٌ إلى فالروزا كي أرسم، فهل تذهب معي؟ سآخذ العربة الصغيرة، ويتولّى بابتيست قيادتها.»

وعبَّر لوري عن سروره لـمرافقتها. وركبا العربة وانطلقا. كانت فالروزا مدينةً خلاّبةً بطقسها الصيفيِّ الدائم، وورودها الـمنتشرة في كلِّ مكانٍ، وجدرانها البيضاء.

قالت إيـمي وهي تقف عند شرفة الـمنزل الذي توجّها إليه: «إنَّـها فـردوس شـهـر الـعسـل أليست كـذلك؟ هـل شـاهـدت في حيـاتك مـثـل هـذه الـورود؟» فـانـدفـع لـوري يـقـطـف لـهـا بعض الأزهار.

اضطجع لوري على الأرض ليتشمَّس. وكانت إيـمي تتأمَّل ملامـحَه وتستشفّ نظرةً فيها معانـي الـمرارة والألـم والسُّخط والندم. فقالت له: «لقد تغيَّرت..» ولـم تكمل. أحسّ لوري بقلقها الودّيِّ نحوه وقال لها: «أنا على ما يرام يا سيِّدتي.» قالت إيـمي بلهجةٍ ودّيّةٍ: «لا تـمكث في الشَّمس. تعالَ واستلقِ على العشب هنا.»

أطاعها لوري وقال وهو يرمي بنفسه على العشب: «ماذا عندك من الأسرار؟!»

قالت له: «ليس عندي ما أقوله، ابدأْ أنت.»

سألها لوري متى تبدأ عملها الفنّيّ. فأجابته بحزم إنَّها لن تعمل في ميدان الفنّ بعد اليوم، فقد انتزعت منها روما كلَّ غرورها. لقد تخلَّت عن آمالها الحمقاء بعد أن رأت الروائع.

وتساءل لوري بدهشة: «لماذا وأنت لديك الطاقة والموهبة؟»

أجابت إيمي: «الموهبة لا تعني العبقرية. ولا تستطيع أيُّ قدرةٍ أن تأتي بها. أنا أريد أن أكون فنّانةً عظيمةً أو لا أكون...»

«وماذا تنوين أن تفعلي الآن؟»

«أصقل مواهبي الأخرى، وأريد أن أكون مفخرةً في المجتمع إذا أتيحت لي الفرصة.»

سألها لوري محاولاً أن يسبر غَوْرها: «ألهذا السبب يأتي فْرِد ڤون إلى هنا؟»

وهنا لاذت إيمي بالصَّمت.

وتابع لوري سؤاله عن طبيعة علاقتها بفْرِد، وعن صحّة ما تردّد من شائعاتٍ حول علاقتهما، وهل كانت لتقبلَ به إذا ما تقدَّم لخطبتها. فأجابته بأنّ هذا ممكن. ودافعت عنه حين وصفه

لوري بالرَّجل غير المناسب لها، وقالَتْ له إنَّه غنيٌّ ونبيل وطباعه مريحة.

شعرت إيمي بأنّ لوري قد اغتاظ من حديثها، ولكنَّها عزمت على متابعة الحديث معه بطريقةٍ استفزازيّةٍ، وقالت له إنَّها وصديقتها يصفانه بلورنس الكسول. وتابعت قائلةً: «إنَّني أكره ما تفعل.»

انتفض لوري وسألها: «أنا كسولٌ! لماذا؟»

ـ «لأنَّك مع كلِّ فرصةٍ تتاح لك كي تكون جيّدًا ومفيدًا وسعيدًا، أراك عكس ذلك، وأنت تُضيِّع وقتك عبثًا بأشياءَ تافهةٍ، وتهتمُّ بسفاسف الأمور.» وتابعت بلهجةٍ هي أقرب إلى التقريع: «ومع ما أوتِيتَ من مال وموهبةٍ ومركزٍ وصحّةٍ ووسامةٍ، فإنّك تُضيِّع وقتك سدًى، بدلاً من أن تكون الرجل الذي ينبغي أن تكونَهُ.»

لم يأخذ لوري ما قالتْه إيمي على محمل الجدّ. وشعر بما تعانيه من مرارةٍ وبصدقِ ما تقول، فاقترب منها، ووعدها بأنّه سيكون عند حسن ظنِّها.

شعرت إيمي أنَّها اشتطَّت قليلاً في تقريعها لوري، وحاولت أن تخفِّف من لهجتها، وربَّما سرّها ضمنًا ألّا تجد في يديه أيَّ خاتم سوى الخاتم البسيط الذي كانت أختها جو قد أهدته له. وقالت له كأنَّما تحاول أن تراضيه: «أعرف يا لوري أنَّك لو لم تكن أرقَّ رجلٍ في العالم لما تحمَّلتَ كلامي، فنحن فخورون بك أبدًا.»

تطرَّق الحديث بينهما إلى جو. وأثار هذا الحديث شجون لوري وآلامه، فقال لإيمي بلهجةٍ مرّةٍ: «هل تعتقدين أنَّ جو يمكن أن تزورني كما تفعلين أنت الآن؟» فقالت له: «أجل، إذا رأتك على هذه الحال. إنّها تكره الكسالى، فلماذا لا تقوم بشيءٍ رائعٍ يجعلها تُحبُّك؟»

قال لوري وهو يضع رأسه بين يديه: «قولي ما تشائين. إن كنت قد فشلت فلأنَّ جو لم تبادلني الحبّ.»

ـ «أنت لم تفشل. باستطاعتك أن تفعل شيئًا إذا حاولت. حاول وسترى. ولا تدع حبَّك يفسد حياتك.»

ران الصّمت بينهما لبضع دقائق. وحانت من لوري التفاتة ليرى أنَّ إيمي كانت ترسمه. فقال لها ساخرًا: «أهذه صورتي؟!» فأجابته: «إنَّها صورتك كما أنت الآن.»

وتناولت صورةً قديـمةً كانت قد رسمتها له عند بداية تعرُّف الأسرة به، وجعلته يقارن بينهما حتَّى يدرك الفارق بنفسه.

وتضاحكا.. وعادا إلـى البيت.. وافترقا.

وفي الصباح التالـي، تلقَّت إيـمي رسالةً من لوري، بدلاً من الـمكالـمة الـمعتادة، تركت في نفسها غصّة. إذ أعلمها فيها أنّ «لـورنس الـكسـول» سيلـتـحق بـجدِّه، وتـمنّى لـها السعـادة في فالروزا مع فْرِدْ ڤون.



الفصل الخامس والثلاثون

وادي الظِّلّ

بعدَ الصَّدمة الأولى، وبكلِّ مودَّةٍ ومحبَّةٍ، حاول كلُّ فردٍ في الأسرة أن يساعد الآخر في أوقات الشدَّة. لقد وضعت الأسرة أحزانها جانبًا وراح كلُّ فرد يضطلع بدوره لجعل السنة الأخيرة لبيث سنةً سعيدة.

أُعدّت أفضل غرفة في المنزل لبيث، وكانت تضمُّ كلَّ ما ترغب فيه: أزهارها المفضَّلة، لوحاتها، البيانو الذي تعزف عليه، أشغالها، وقططها. وكان الجميع يسعى لإسعادها.

في هذه الغرفة، كانت ترقد بيث ساكنةً، ولكنَّ أصابعها الرقيقة لم تتوقّف عن العمل. فقد كان يُبهجها أن تضع أشياءَ

صغيرةً لتلاميذ الـمدرسة الذين يـمرّون بالقرب من نافذتها جيئةً وذهابًا. وكانت سعيدةً بالعناية التي تلقاها من كلِّ مَن حولها، وخصوصًا عندما يتجمَّعون في غرفتها الـمشمسة. وكأنّ هذه السكينة التي ملأت نفوس أفراد الأسرة، كانت فترة تـمهيدٍ لاستقبال الساعات الصعبة الـمقبلة، ذلك أنَّ بيث كانت تزداد ضعفًا يومًا بعد يوم بحيث لـم تعد تقوى حتَّى على حمل الإبرة، وتنزعج من الأصوات الصادرة بين حين وآخر، وكانت صرخات الاستغاثة من الألـم تـمزِّق قلوب أهلها.

قالت بيث لأختها جو: «أشعر أنَّني أقوى عندما تكونين إلـى جانبي.» ومنذ ذلك الـحين لـم تعد جو تفارقها. كانت تنام على الأريكة بالقرب منها، وتقدِّم لها كلَّ ما تـحتاجه من الرعاية. وكانت سعيدةً كلَّ السعادة بـما تقوم به من أجل أختها. ولكنَّ بيث كانت صامتةً دومًا حزينةً دومًا، وكأنّما تـحاول أن تبتعد عن حياتها القديـمة وتُهَيِّئَ نفسها لتقبّل حياةٍ جديدةٍ، من خلال الدعوات والصلوات والـموسيقى التي أحبَّتها.

ولّت أيَّام الربيع. وباتت السماء أكثر إشراقًا والأرض أشدَّ خضرةً، وفاحت الأزهار وعادت الطُّيور لتقول وداعًا لبيث التي

كانت تتشبَّث بأيدي مَن حولَها كطفل وديعٍ، فيما يقودها أبوها وأمُّها بحنانٍ عبر وادي الظلِّ ويسلِّمانها إلى اللّه.

وفارقت بيث الحياة من دون وداعٍ، وقد ارتسمت على وجهها الرقيق نظرةُ حبٍّ بريئة.

وفارقها أهلها بالدُّموع والصلوات، والحزن يعتصر القلوب. ورأوا في وجهها، وهي مُسجّاةٌ على فراش الموت في طريقها إلى رقدةٍ طويلةٍ بلا ألم، وجهَ ملاكٍ طيِّب. كان الموت راحةً لبيث الحبيبة، وهذا ما خفَّف الألم والعذاب عن أسرتها.

لقد اختار الموت بيث إلى جواره، وها هي ترقد بسلامٍ، وقد ارتسمت السَّكينة على وجهها.

الفصل السادس والثلاثون

السُّلوانُ والـحبُّ الـمتجدِّد

كان لـمحاضرة إيـمي مفعولُها الـجيِّد على لوري، وإن لـم يستوعبها إلَّا بعد حين. فقد عاد إلـى جدِّه وكرَّس نفسه له بضعة أسابيع. واقتنع بينه وبين نفسه أنَّه كان أنانيًّا وكسولاً حقًّا. وشعر بأنَّه إذا كان قد خسر حبَّ جو، إلّا أنّه يستطيع أن يكسب احترامها وإعجابها. وفكَّر لوري في تعلُّم الـموسيقى، فذهب إلـى ڤيينّا لهذه الغاية، ولكنَّه وجد طريق الـموسيقى طويلاً. وفكَّر في الـمسرح، لكنَّه ما لبث أن أعرض عنه أيضًا. وتساءل عمّا يـمكن أن يـختار، وكان عليه أن يجيب عن هذا السؤال الصّعب.

كان يعتقد أنّ نسيان جو قد استنفد كلّ طاقته، لكنّه اكتشف مع الوقت، أنّ عاطفة المراهقة الجيّاشة قد تحوّلت إلى عاطفةٍ هادئةٍ، وإلى مودّة أخويّةٍ لا تشوبها شائبةٌ وتدوم طويلاً وأبدًا.

انشرحتْ نفسه عندما لمعتْ في ذهنه فكرة المحبّة الأخويّة. وابتسم وهو يُحدِّق في صورة موزارت وقال: «إنّه رجلٌ عظيمٌ، فعندما لم يحصل على إحدى الأختين كان قانعًا سعيدًا بالأخت الأخرى.» ورغم ما توصّل إليه من قناعةٍ إلّا أنّ صورة جو ظلّتْ تداعب خياله.

وكتب إلى جو يستطلع رأيها في العودة ليَعيشا معًا، فأجابتْه بالرّفض لأنّ حزنها على بيث يملأ حياتها، ورجته أن يَنْشُد السعادة مع غيرها، كما رجته ألّا يُخبر إيمي بما حدث لبيث. لذا، كان على لوري أن يراسل إيمي باستمرار كي لا تشعر بالوحدة أو القلق.

وصلَتْ رسالةُ لوري إلى إيمي، فسارعَتْ إلى الرّدِّ برسالةٍ بعثت بها إليه تقول فيها: إنّها تُحِسُّ بالغربة فعلاً، وتحتاج إلى من ينقذها من وحدتها، وإنّها قد أنهت علاقتها بفْرِد مسترجعةً

كـلـمـات لـوري: «إنَّ فـرِدْ إنسـانٌ جيّـدٌ، ولـكـن لـيس بـالـرجـل الـمناسب لك أبدًا.» وظلّت هذه العبارة تتردَّد في ذاكرتها ومعها صورة لوري وهو يردِّدها أمامها.

ومنذ ذلك الـحين، لـم تعد إيـمي تلقي الـمحاضرات على لوري، بل باتت تستأنس برأيه في جميع الأمور. وكانت تهتمُّ في بكلِّ ما يفعل، وتواظب على مراسلته. وتابعت هواية الرَّسم التي كانت تستغرق جانبًا كبيرًا من وقتها. هذا الاستغراق جعل العمَّة تعتقد أنّ إيـمي حزينة ونادمة على رفضها لطلب فْرد يدها، ولكنَّ الـحقيقة هي أنَّ ما كان يشغل بال إيـمي هو شيءٌ آخر، وهو أن يعلم لوري أنّ فْرد قد غادر إلـى مصر.

عندما وصل الـخبر الـحزين عن بيث إلـى إيـمي، كانت قد سـافـرت إلـى سـويسرا عن طريق جنـوى والبـحيرات الإيطـاليَّة، ولكنَّها كانت تشعر بالضّجر والأسى وتتوق إلـى العودة إلـى الوطن. وكانت تتطلَّع كلَّ يومٍ إلـى البحيرة بتوقٍ وهي تنتظر لوري كي يأتي ليواسيها.

كان لوري في ألـمانيا. وما إن وصلته الرسالة حتَّى سارع بالسَّفر إلـى حيث تقيم أسرة العمَّة كارول ليقابل إيـمي.

في حديقةٍ غنّاءَ عند تخوم البحيرة، كانت إيمي تجلس حزينةً قلقةً تفكّر في بيث وفي لوري. ولم تسمع خطاه وهو يقترب منها عبر ممرّات الحديقة. انتصب أمامها وهو يحدّق فيها وكأنّه يراها لأوّل مرة. وعندما رفعت ناظريها وشاهدته اندفعت نحوه غير مصدّقةٍ وهي تقول: «أوه! لوري.. لوري. كنت أعرف أنّك ستأتي.» وقف كلاهما صامتًا لبرهة. كان قلباهما مفعمين بالسّعادة.. أحسّت حينها، أنّ ما من إنسانٍ يمكن أن يواسيها ويشدَّ من أزرها مثل لوري، وشعر هو بدوره أنّ إيمي هي الفتاة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تحتلَّ مكان جو وتسعده. ولم يفصح أحدهما للآخر بمكنون قلبه، ولكنَّ كليهما كان يحسُّ بهذه الحقيقة.

قالت إيمي: «إنّها لمفاجأة أن أفتح عينيَّ فأراك في وقتٍ بدأتُ أخشى ألّا تأتي.»

فقال لوري: «لقد جئتك لمّا علمت بالخبر. ليتني أستطيع أن أقول شيئًا لأواسيَك بوفاة العزيزة الصغيرة بيث..» واختنقت الكلمات في حلقه ولم يجد سوى أن يعصر يدها بحنانٍ.

وسارا معًا في أرجاء الحديقة التي تناثر فيها العشّاق. وشعرت إيمي بأنّها خلّفت وراءها مشاعر الوحدة والأحزان.

أمضى الاثنان أوقاتًا مليئةً بالبهجة والسعادة، وشعر لوري باستحالة حبٍّ امرأة أخرى غير إيمي. ولم يكن بحاجةٍ إلى أن يفصح لها عن حقيقة مشاعره، فقد أحسّت بذلك من تلقاء نفسها وأعطته الجواب الذي كان ينشده. وكانت تشعر بأنَّ حبَّهما سيُسعد كلَّ مَنْ حولَهما حتَّى جو.

آثر لوري أن يُرجئ الإفصاح عن حبِّه حتَّى اللَّحظة المناسبة. وتخيَّل أنّ هذه اللَّحظة ستكون في حديقة القصر تحت ضوء القمر، ولكنَّ اللَّحظة السَّعيدة جاءت في وضح النهار وهما يجذِّفان في ماء البحيرة. إذ سرعانَ ما شعرا أنَّهما في قمَّة السعادة وهما يتوصَّلان إلى هذا القرار المشترك بينما كانا يجذِّفان معًا في عُباب مياه الحياةِ المشتركة.

الفصل السابع والثلاثون

الكتابةُ تُذهِبُ الوحدة

كان من السّهل على جو أن تعدَ بنكران الذّات في الوقت الذي كانت أختها المريضة بيث توشك أن تودِّع الحياة. ولكن، وبعد أن خبا ضوء الحياة، لم يعد لجو سوى الوحدة والحزن. كيف يسعُها أن تشيعَ البهجة في مَن حولَها وقد رحلتْ بيث إلى الدار الآخرة؟ ولم تعد تجد ما تشغل به نفسها. وأصابها اليأسُ وهي تفكّر كيف ستمضي حياتها في هذا البيت الهادئ، تقوم بالواجبات الرّتيبة المملّة التي لا تنتهي. وشعرت أنّها لا يمكن أن تستمرَّ على هذه الوتيرة، وأنّها قد تُقْدم على عمل يائسٍ إذا لم يساعدها أحد.

وطلبت إلى والدها ذات يومٍ أن يحادثها كما كان يفعل مع بيث، لأنَّها في أمَسِّ الحاجة إليه. فعانقها بحنانٍ مؤكِّدًا أن لا شيء أعزُّ عليه من أن يقف إلى جانبها.

وراحت تبُثُّ والدها أحزانها وتحدِّثه عن خيبات أملها، وأعطتهُ ثقتها كلَّها، وأعطاها بدوره كلَّ ما تحتاج إليه من مساعدة. وهذا ما منح كليهما راحة النفس.

وأخذت جو تُعوِّد نفسها شيئًا فشيئًا على أعمال المنزل، وبصورةٍ لاشعوريَّةٍ، وجدتْ نفسها تقوم بكلِّ ما كانت بيث تقوم به.

سألتها أمُّها ذات مرة: «لـمَ لا تكتبين؟ لقد كانت الكتابة تُدخل السعادة إلى قلبك دومًا.»

ردَّت جو بشيءٍ من القنوط قائلة إنَّها لا تجد رغبةً في الكتابة، ولا تجد شخصًا يهتمُّ بما تكتب. وشجَّعتها أمُّها على الكتابة قائلةً: «حاولي أن تكتبي يا غاليتي وأنا واثقةٌ أنّ الكتابة ستُدخل السرور إلى قلبك.»

كتبت جو قصَّة لم تكن تتوقَّع أن تلقى ما أصابته من نجاح. وتلقَّت الكثير من رسائل الإعجاب من القرّاء والأصدقاء.

ممّا أثار دهشتها، فراحت تتساءل عن سرِّ إعجاب الناس بما كتبت. وجاء الجواب البسيط من والدها: «السرُّ يكمن في ما تحتويه من صدق. إنَّك تكتبين من دون أن تفكِّري في الشهرة أو المال يا بنيّتي، وتصبّين أحاسيسك في كتابتك. لقد مرّت الأيَّام الصَّعبة وجاءت الأيَّام الحلوة. ابذلي ما في وسعك وكوني سعيدةً كما نحن سعداء الآن بنجاحك.»

تأثَّرت جو بكلام والدها وقالت إنَّها مَدينةٌ بنجاحها له ولأمِّها ولبيث.

عندما علمت السيِّدة مارش بخطبة إيمي ولوري خشيتْ على جو من الصَّدمة، ولكنَّ مخاوفها سرعان ما تبدَّدت عندما وجدت أنَّ جو لم تتأثَّر كثيرًا. واعترفت الأمُّ بأنَّها كانت تتوقَّع مثل هذا الحدث، بل وتتمنَّاه.

أكَّدت جو لأمِّها أنَّها سعيدةٌ لخطبة أختها ولأنَّها عرفت كيف ينبغي أن تعامله، ولكنّها شعرت في قرارة نفسها بغصَّةٍ، وعاودها شيءٌ من الحزن. وحين تذكَّرت كلماتٍ كتبها لها البروفسور عندما كانت في منزل السيِّدة كيرك، أحسّت برغبةٍ شديدةٍ في البكاء.

الفصل الثامن والثلاثون

مفاجآتٌ حُلوة

كانت جو تضطجع على الأريكة وحيدةً في الغسق، تنظر إلى المدفأة وتفكّر. إنّه وقتها المحبَّبُ الذي اعتادت أن تسرح فيه بتفكيرها، تؤلّف القصص في خيالها، وتحلم، أو تفكّر في أختها التي لم تَبْرَحْ ذاكرتها. وانتابها شعورٌ بالحزن. فالسُّنون تنصرم بسرعةٍ، وها هي تبلغ الخامسة والعشرين ولا يلوح لها شيءٌ في الأفق.

وفجأةً مَثلَ أمامها شبح لوري، الذي انحنى وقبّلها، فشعرت بحنين شديد إليه وصرخت والغبطة تملأ كيانها: «حبّي تيدي!»

ودار بين الاثنين حديثٌ عاطفيٌّ حميمٌ، وذكريات، وعتاب ومسامحة. وصار لوري يحكي لجو، كيف أحبَّ إيمي، كما حكى لها ظروف زواجه السريع بها. وتفهَّمت جو ظروفه، وشعرت بالسعادة لأنَّه أصبح رجلاً ناضجًا يُحسن التصرُّف. وتواعد الاثنان على الصداقةِ والمودّة والتعاون.

وبيَّنَتْ جو الظُّروف الصَّعبة التي مرَّت بها في السَّنة الأخيرة، حتَّى إنّها باتت تشعر وكأنّها امرأةٌ في الأربعين. ولكنّ وجود أبيها وأمِّها إلى جانبها، وسعادته هو مع شقيقتها إيمي، جعلاها تشعر بالطُّمأنينة.

وفجأةً، سُمع صوت إيمي وهي تصيح: «أين هي؟ أين حبيبتي جو؟»

وتقاطر أفراد الأسرة كلِّها وراحوا يتبادلون العناق والقُبل.

كان وجه إيمي مفعمًا بالسَّعادة، وصوتها يفيض بالرِّقَّةِ، وحلاوة طباعها تكسبها مزيدًا من السِّحر فضلاً عن جمالها ورشاقتها.

بدأ الجميع بالدَّردشةِ، مُسترجعين ذكرياتِ الماضي بمسرّاتِه ومآسيه خلال سنواتٍ طويلةٍ ماضيةٍ، وكلُّ ذلك في مدّةٍ لا تتعدَّى نصفَ ساعةٍ من الوقت.

ما إن انتهى وقت شرب الشَّاي، حتَّى قُرع جرس الباب الخارجيّ. وفتحت جو الباب بلهفةٍ وفوجئت بشبح آخر ينتصب أمامها، شبح رجلٍ ملتحٍ ينظرُ إليها!

وصاحت جو: «أوه! السيِّد باير؟! لَكم أنا سعيدةٌ برؤيتِكَ!» فأجابها البروفسور باير: «وأنا سعيد برؤيتِكِ يا آنسة مارش.» وتردَّد قليلاً في الدُّخول بعدما سمع لغط أصواتٍ صادرةٍ من الطابق العلويّ.

قالت جو: «تعالَ انضمَّ إلينا. لا يوجد سوى أفراد العائلة.. أختي والأصدقاء.»

قال السيّد باير: «يُسعدني أن أراهم، وأنتِ هل كنتِ مريضةً يا صديقتي؟»

جو: «لا، لم أكن مريضة. كنت متعبةً وحزينةً لقد صادفَتْنا بعض المصاعب منذ لقائنا الأخير.»

السَّيِّد باير: «لقد شعرت بالحزن من أجلك عندما سمعت بذلك.»

وعرَّفت جو الجميعَ بضيفها وقد انتابها شعورٌ بالاعتزازِ والسعادة.

سُرَّ السيِّد باير بالترحاب الشَّديد الذي استُقبل به من قِبَل الجميع. واستطاع بدوره أن يستأثر باهتمامهم، بمَنْ فيهم لوري الذي حاول أن يتجنّبه في البداية.

كانت جو تسترق النظرات إلى السيّد باير وتقول في نفسها: «ماذا كان يُضيركَ يا صديقي العزيز لو كنتَ قد تودّدت إليّ.»

في هذه الأمسية، غنَّت إيمي أغاني بيث بصوتٍ شجيٍّ، وكان الجميع يصغون باستمتاع، ولكنَّ صوتها كاد يختنق فجأةً وهي تغنّي السَّطر الأخير من أنشودة بيث المفضَّلة: «لا توجد على الأرض أحزان لا تستطيع السَّماء أن تُبرِئَها.»

وهنا قالت جو: «فلنسمعْ أخيرًا أغنية مينو ينشدها لنا السَّيِّد باير.»

وقف السيِّد باير في زاوية الـمكان حيث كانت تقف جو وراح يـدنـدن ويـهـمـهـم استـعـدادًا لـلـغـنـاء قـائـلاً: «أتـمنّـى أن تصاحبونـي بالغناء.»

بعد أن أنهى السيِّد باير أغنيته الـحلوةَ، فاجأه لوري وهو يتـقـدَّم مـنه مصطـحبًا إيـمي قـائلاً: «زوجتي وأنا سعيدان جدًّا بلقائك يا سيّدي. إنَّنا بانتظارِكَ.»

شـكـره البروفسور بـحـرارة وبادله الـمـجاملة. وقال وهـو يخاطب السَّيِّدة مارش إنّه سيبقى في الـمدينة بضعة أيَّامٍ بسبب بعض الأشغال.

ترك البروفسور انطباعًا حسنًا عند الـجميع. ولكنَّ جو راحت تتساءل بعدما غادر السَّيِّد باير الـمنزل: «تُرى، ما هي هذه الأشغال التي حملت السَّيِّد باير على الـمجيء إلـى الـمدينة؟»

الفصل التاسع والثلاثون

مولايَ ومَولاتي

قال لوري، وقد جاء إلى بيت حميه في اليوم التَّالي، وَوَجد زوجته في حضن أمِّها كما كانت تفعل وهي طفلة: «سيِّدتي، هل تسمحين لي بزوجتي مدّة ساعة؟ لقد وصلت الأمتعة من باريس.»

قالت السَّيِّدة مارش: «كيف لا! هيّا يا حبيبتي، لقد نسيت أنَّ لديكما بيتًا غير هذا.» قال لوري: «ما جئْتُ إلّا لأنّني لا أستطيع العيش من دون امرأتي الصغيرة أكثر من...» فقاطعته جو قائلةً: «دوّارة الريح لا تعمل بِلا رياح.»

ردَّ لوري قائلاً إنَّ زوجته تصوّب اتّجاهه حقًّا، وتسدِّد خطاه.

قالت إيـمي بلهجةٍ وديَّة: «ادخل يا عزيزي. أحسب أنَّ ما تبحث عنه بين الأمتعة موجودٌ بين أشيائي.. فالرجال لا يعرفون شيئًا!»

قالت جو: «كيف ستتصرَّفان عندما تستقرّان معًا؟»

قال لوري: «لن نكون كسالى. سأعمل وأثبت لـجدّي أنَّني لست ولدًا فاسدًا. أمَّا إيـمي، فسوف تذهلكم بحسن ضيافتها في منزلنا وفي الـمجتمع الراقي حَوْلنا.»

ما إن همّا بالـمغادرة حتَّى كان البروفسور باير يفتح البوّابة بصبرٍ نافد.

وفي الـمساء، قال لوري مـخاطبًا زوجته: «سيِّدة لورنس، إنَّ ذلك الرجل يريد أن يتزوّج جو.»

ـ «آمل ذلك يا عزيزي.»

ـ «إنّه جيّد، ولكنَّني كنت أتـمنى لو أنّه أصغر سنًّا وأكثر غنًى.»

ـ «لا يا عزيزي، لا تكن مهتمًّا بالشؤون المادّيّة وحسب، فإذا كان أحدهما يحبُّ الآخر فلا يهمُّ العمر أو الغنى. إنّ المرأة لا تتزوَّج من أجل المال.»

وهنا ذكَّرها لوري بخبثٍ كيف أنّها كانت تودُّ أن تتزوَّج من أجل المال في وقتٍ من الأوقات. فقالت له إيمي: «أنا لم أفكِّر في المال عندما رضيت بك زوجًا. كنت سأتزوّجك حتَّى ولو كنت لا تملك شروى نقيرٍ، وأنت تعلم أنَّني سأسير معك مشوار الحياة إلى آخره، حتَّى ولو كنت تكسب عيشك من التَّجذيف في البحيرة.»

لوري: «كيف يمكن أن أفكِّر بغير ذلك وقد رفضْتِ من هو أغنى منِّي من أجلي؟»

وخَطَر على بال إيمي أن تسأله:

«هل يُحزنك أن تتزوَّج جو السيِّد باير؟»

لوري: «أؤكِّد لك أنَّني سأرقص في عرسها بسريرةٍ صافية. هل تشكِّين في ذلك يا حبيبتي؟» وكانت إيمي راضيةً عن هذه الإجابة التي أزاحت عن نفسها مخاوف الغيرة إلى الأبد.

قال لوري ممازحًا، وهو يخطو مع زوجته في غرفة الاستقبال وقد تأبّط ذِراعها:

«بودّي لو نستطيع أن نفعل شيئًا لهذا البروفسور المميَّز. هل نستطيع أن نخترع صلة قربى له بغنيٍّ يموت في ألمانيا ويترك له ثروة صغيرة؟»

فقالت إيمي: «إنَّ جو سوف تكتشف الأمر وتفسد كلَّ شيءٍ. إنّها فخورةٌ به كما هو.»

لوري: «على بركةِ اللَّه. لن نتدخّل الآن، ولكن ستتحيّن فرصةً نستطيع أن نقدّم فيها شيئًا لهما. إنَّني مدينٌ لجو بتعليمي، وهي تؤمن بالناس الذين يسدّدون ما عليهم من دين.»

فقالت إيمي: «ما أجمل أن نكون قادرين على مساعدة الآخرين. لقد كان هذا حلمي، وبفضلك ستصبح الأحلام حقيقة.»

الفصل الأربعون

تـحتَ الـمظلَّة

في الـوقت الـذي كـان لـوري وإيـمـي يـرتِّـبـان مـنـزلـهـمـا ويـخطِّطان لـمستقبلٍ باسمٍ، كان باير وجو يتمتّعان بالنُّزهات عبر الطُّرق والـحقول الـموحلة.

طرأت على جو خلال تلك الفترة تغيُّرات كثيرةٌ، فقد باتت أكثرَ ابتهاجًا وأكثرَ اعتناءً بشعرها وزينتها. أمَّا البروفسور باير، فكان يتحدَّث مع السيّد مارش في الفلسفة ويعطي ابنته دروسًا في الـحبّ.

ظلّ البروفسور باير يتردَّد على أسرة جو طوال أسبوعين. ثمَّ انقطع فجأةً ثلاثة أيَّامٍ، ما أثار قلق جو. وقالت في نفسها: «كان

عليه أن يودِّعنا كأيّ رجل يتَّصف بالكياسة.» وتذرّعت بحاجتها إلى شراء بعض الحوائجِ، حتَّى تنزل إلى المدينة وتقابل السيِّد باير. والتقته بالفعل في طقس ماطر. وسألها: «ماذا تفعلين هنا يا صديقتي؟» واقترح عليها أن يحمل عنها الصُّرَّة التي كانت تحملها. قالت جو وهي تتأبّط ذراعه: «ظنّنا أنَّك سافرت.»

ـ «وهل أستطيع أن أسافر قبل أن أودِّع من كانوا في غاية الطِّيبة معي؟»

ـ «طبعًا لا، ولكنَّني علمت أنَّك كنت مشغولاً بأمورٍ خاصَّة. لقد افتقدناك ولاسيَّما أبي وأمي.»

ـ «وأنتِ؟»

ـ «أنا دائمًا سعيدةٌ برؤيتك يا سيِّدي.» قالت جو تلك العبارة وهي تحاول أن تجعل صوتها يبدو طبيعيًّا.

أخبرها باير بأنّه سيعود قريبًا، فلم يعد لديه ما يفعله في المدينة. وقال إنّه سيأتي لزيارتهم قبل سفره. وشعرت جو بغصَّة من جوابه. فصارحها بأنَّ لديه فرصة عملٍ جيِّدةً تدرُّ عليه دخلاً

أفضل يجعل حياة ولديه فرانز وإميل أيسر. وقال إنَّ العمل الجديد سيكون بعيدًا ما يجعل فرص لقاءاتهما أقلّ.

لم يكن باير خبيرًا بمشاعر النساء، ولم يفطن للنبرة اليائسة في صوت جو. اشترت جو ما كانت تريده من أحد المحالّ، واشترى لها باير بعض الأزهار. وطلب منها أن تساعده في شراء ثوبٍ لتينا، لأنَّه يجهل هذه الأمور. أحسّت جو وهو يطلب منها هذا، برعشةٍ من البرودة الشديدة تجتاحها، وحاولت أن تخفي مشاعرها وقد أغاظها تصرُّف باير، ولكنَّها لم تستطع ذلك. وانهمرت الدموع على خدَّيها. كانت محبطةً ومتعبةً تريد أن تعود إلى الديار بأسرع وقت. وعندما سألها برقّةٍ عن سبب بكائها، لم تتردَّد في القول بصراحةٍ: «لأنَّك مسافر.»

قال باير وهو يحاول أن يُمسك بكلِّ ما يحمله من أشياء: «آه جو، ليس عندي الكثير من الحبِّ أعطيه لك. لقد جئت لأعرف ما إذا كنت تهتمّين بي. وانتظرت حتّى أتأكّد ما إذا كنتُ أكثر من مجرَّد صديقٍ. فهل أنا كذلك؟ هل ثمَّة متَّسعٌ في قلبك لفريتز العجوز؟»

قالت جو: «أجل!» وأحاطته بذراعيها ونظرت إليه نظرةً تعبِّر عن سعادتها بـمتابعة مشوار الـحياة معه، رغم عدم وجود مأوى أفضل لهما من مظلّته العتيقة.

ثمَّ سألته وهما يسيران معًا لا يأبهان لكلِّ ما حولهما: «قل لـي، ما الذي أتى بك أخيرًا في الوقت الذي كنتُ بأمسِّ الـحاجة إليك تـمامًا؟»

أخرج باير ورقةً من جيبه، وقال: «هذه. لقد وجدت هذه الورقة مصادفةً، وكان فيها أبيَاتٌ من الشِّعر خُيِّل إلـيَّ أنّـها تدعونـي إلـى الـمجيء.»

وقرأت جو هذه الأبيات:

«امرأةٌ في بيتٍ وحيدٍ

تبدو كبيت شعرٍ حزينٍ

تتطلَّع إلـى حبٍّ كبيرٍ آتٍ

في يوم صيفٍ ماطرٍ»

قالت جو، وهي تـمزِّق الورقة: «إنَّه شعرٌ رديءٌ، ولكنَّني كنت أحسُّ بتلك الـمشاعرِ عندما كتبته.» وتابعت قائلةً: «ما الذي أخّرك كلَّ هذا الوقت؟»

وشرح لها باير ظروفه. وأنَّه ما كان في وسعه أن ينتزعها من بيت أهلها قبل أن يوفِّر لها المنزل المناسب فهو لا يملك سوى علْمه.

قالت جو بحزم: «أنا سعيدةٌ لأنَّك فقيرٌ، فأنا لا أستطيع أن أتحمَّل زوجًا غنيًّا. لا تخشَ الفقر فقد خبرتُه طويلاً، ويسعدني أن أعمل من أجل مَن أحبُّهم.»

قال باير: «هل تستطيعين الانتظار وقتًا طويلاً يا جو؟»

كان بحاجةٍ إلى فترةٍ من الوقت حتَّى يستطيع أن يؤمِّن مستقبل ولديه ومعيشتهما، فضلاً عن تأمين حياته. وقبِلَت جو الانتظار فكلاهما يحبُّ الآخر، وهذا ما يجعل الانتظار سهلاً. عليهما الآن أن يكافحا وأمّا المستقبل فهو بيدِ الله.

أسعدت كلماتُها قلب باير، فقد منحته الأمل والشجاعة. أمَّا هو، فلم يكن يملك سوى قلبٍ عامرٍ بالحبّ ويدَيْن خاليتَيْن.

قالت له جو عند عتبةِ الدار وهي تعانقه: «لن تبقى يداكَ خاليتَيْن بعدَ الآن.» وقبّلته تحت المظلّة، وأدخلته البيت وأغلقت الباب خلْفهما.



الفصل الواحد والأربعون

وقتُ الـحصاد

طَـوال سـنـةٍ، ظـلَّ الأسـتـاذ وجـو يـكـدّان معًـا، ويـأمـلان ويتـواصلان ويتراسلان. وفي بداية السَّنة الثانيـة، توفِّيتِ العمّة مارش فجأةً تاركةً لـجو ميراثًا طيّبًا. إنّه بيتٌ عتيقٌ ولكنّه فسيحٌ وجميلٌ. وظنّ الـجميع أنّ جو ستبيعه، فهو بيتٌ كبيرٌ ذو حديقةٍ واسعةٍ، ويـحتاج إلـى مال كثير لصيانته وخدمته. ولكنَّها أصرّت على إبقائه. فهي تريد أن تـحوِّله إلـى مدرسة خاصَّةٍ بالأطفال، تـعـمـل هي وفريتز فيـها. وقالت إنّـها ليست فكرةً طارئةً، فقد راودتها هذه الفكرة منذ زمن بعيدٍ. فكم ستكون سعيدةً حين تـحقّق الـحلم الذي لطالـما كان يراودها.

وافق الوالدان على رأي ابنتهما. وكانت سنةً رائعةً، بدت فيها الأمور تسير بسرعةٍ وعلى أحسن ما يرام. وكانت جو تفكّر بأنَّ ذلك المنزل في بلامفيلد، يصلُحُ أن يكون مكانًا عائليًّا للأولاد الذين يحتاجون إلى التعليم والعناية وحسن المعاملة.

وسرعانَ ما تزوَّجت جو وحقَّقت أحلامها، ودخل مدرسَتَها الكثيرُ من الأولاد الذين كانوا يَدْعونها ماما باير. واكتملت سعادتها بإنجاب طفلين: «روب» على اسم جدِّه، و«تيدي» الذي اكتسب صفات أمِّه وأبيه.

كان هناك الكثير من العطل والإجازات في بلامفيلد، ومن أبهجها عطلة قطاف التُّفاحِ السَّنويَّة، حيث كانت تتجمّع أسرة مارش ولورنس وبروك وباير لتحتفل بهذه المناسبة. وقد شهدت حديقةُ ذلك المنزلِ، بعد خمس سنواتٍ من عرس جو، واحدةً من تلك الحفلات الرائعة التي شارك فيها الجميع مع أطفالهم وأحسُّوا بسعادةٍ غامرةٍ وبهجةٍ وحبورٍ، وكانت جو في ذروة سعادتها في ذلك اليوم. وبعد أن انتهى القطاف، ووُضِع العشاء على العشب، راح الجميع يشربون الأنخاب، وينشدون الأغاني، ويضحكون ويمرحون.

كـان الـجـمـيـع في غـايـة السـعـادة. فـبـايـر بـات يشعر بأنّه مـحظوظ بسبب ما آلتْ إليه الأمور وما حقّق مع زوجته من نـجاح. واعتبرت ميغ أنّها حقّقت كلَّ ما تتمنّاه مع زوجها جون. وقالت إيـمي إنَّ ما تـحقَّق في حياتها لـم يكن ضمنَ ما كانت تـخطِّط لـه، ومـع هـذا فـإنّـها لا تتـمنّـى أن تغيِّرهُ أو تبدِّلهُ، فـهي وزوجها راضيان عن حياتهما، وشكرتِ اللّه على سعادتها.

أمّا جو، فقالت: «لا حاجةَ بي إلـى القول إنّي سعيدةٌ، فهذا ما يستطيع كلُّ امرئٍ أن يراه، فأنا سعيدةٌ بزوجي وولديّ وقد أعطانـي اللّه أكثر مـمّا أستحقّ.»

قالت السيّدة مارش: «أعتقد أنَّ حصادك، يا جو، كان جيِّدًا.»

فقالت جو باندفاعٍ طفولـيّ: «ولكنَّه لا يصل إلـى نصف حصادك يا أمّاه. فنحن لا نستطيع إلّا أن نقدِّم آيات الشكر على ما قدَّمتِه لنا.»

قالت إيـمي: «آمل أن يكون حصادنا أوفر في السنوات الـمُقْبلة.»

وقالت ميغ بصوتٍ حنونٍ: «حصاد كبير يكون لك الفضل فيه.»

ولـم يسع السيِّدة مارش، التي تأثّرت بالغ التأثُّر بكلمات مَن حولَها، إلّا أن تـمدّ يديها وكأنَّها تريد أن تعانق جميع بناتها وأحفادها، وتقول بصوتٍ ملؤُهُ الـمحبّة والأمومة، والامتنان والتواضع: «أطالَ اللّهُ أعماركنّ يا بناتي الـحبيباتِ، فأنا لا أستطيع أن أتـمنّى لكنّ إلّا سعادةً أعظم من هذه!»

الاستثمار التربويّ

أ ـ في تـحليل القصّةِ ومناقشتِها:

1 ـ ما الّذي قدَّمَتْه القصّةُ في أولـى صفحاتها؟

2 ـ لِـمَ لا تريد الأمُّ أن يعود الوالد سريعًا كما ترغبُ بناتُها؟

3 ـ هـل تـلـمحُ في الـفصـلِ الثّـانـي مـلامحَ إنسـانيّةً في أعـمـالِ الشخصيّات؟ حدِّدْ هذه الأعمال وانسبْ كلاًّ منها إلـى صاحبِهِ.

4 ـ ماذا يعني أن تتكتّم ميغ عمّا حصلَ لها من مُنَغِّصاتٍ في حفلةِ رأسِ السنة؟

5 ـ كانَتْ إيـمي شغوفة بالرّسم فلُقِّبت بـ «رافاييل الصّغير» من هو «رافاييل»؟

6 ـ بدَتْ جو في الفصلِ الـخامسِ، ذاتَ ذكاءٍ وحسن تقدير وفهمٍ لكثيرٍ منَ الأمور، أَشِرْ إلـى بعضِ ما لاحظتَهُ من هذه الأمورِ التي دلّت على ذكائها.

7 ـ أيُّ الفتاتين (جو أم إيـمي) كانَتْ مذنبةً تـجاهَ أختِها؟ علِّلْ ما تذهَبُ إليه.

8 ـ «مَتاعُ الغرور» عنوانُ الفصلِ التّاسعِ، أينَ تـجد مِصداقَ الـمعنى الّذي حملَه هذا العنوانُ في هذا الفصل؟

9 ـ كيف عرَفَتِ البناتُ أنّ أعمالَ تدبير الـمنزلِ صَعبة؟

10 ـ لـماذا تكونُ الفرحةُ أكبرَ ما تكونُ إذ تبدأُ ساعاتُ الشّدّةِ بالانفراجِ، كما جرى لـجو وميغ في نهايةِ الفصلِ الـخامسَ عَشَر؟

11 ـ ماذا يعني أن تـحسّ في يومٍ من الأيّامِ أنّ شروقَ الشّمسِ رائِع؟

12 ـ هل كانَ من الـمحتَملِ أن تُقيمَ فتاةٌ صغيرة مثل إيـمي في منزل عجوز كي تقومَ بِخدمتِها؟ لـماذا؟

13 ـ هـل كـانَـتِ الأمُّ مُـصـيبةً في الآراءِ التي أبدتـها عـندَ نـهايةِ الفصلِ السابعَ عَشَرَ، في شأنِ زَواجِ ابنتِها ميغ؟ لـماذا؟

14 ـ علامَ يدُلُّ تصرُّفُ لوري مع ميغ في الفصلِ الثّامنَ عَشَر؟

15 ـ علامَ يدُلُّ اعترافُ الـمُخطِئِ بخطئِهِ واعتذارُهُ عنه؟

16 ـ علامَ يدُلُّ زوالُ الـحِقدِ سريعًا من قلوبِ بعضِ النّاس؟

17 ـ هل كانَتِ العمّةُ مارش رافضةً حقًّا زواجَ ابنةِ أخيها «ميغ» بالشابّ «جون»؟ هل عرَفْتَ لماذا افتعلت أسلوبَ التّهديد؟

18 ـ تُرى، لماذا أنّبَتْ جو لوري على إسرافِهِ حين قدّمَ هديّةَ العُرسِ لأختِها ميغ؟

19 ـ باركتِ العمّة مارش لابنةِ أخيها ميغ عندَما تـمَّ زواجُها وفي نفسها غُصّة. تُرى فيمَ هذهِ الغُصّة؟

20 ـ ما تعليقُكَ على تخلُّف أكثر المدعوّاتِ عن تلبيةِ الدّعوة في الفصلِ الثالثِ والعشرين؟

21 ـ في الفصلِ الرّابع والعشرينَ حقّقت جو عددًا منَ النّجاحاتِ في أعمالِها القَصَصيَّة، اذكُرْ ما ترى من الأسبابِ التي أوصلَتْها إلى هذا النّجاح؟

22 ـ ما الدّرسُ المستفادُ، من الفصلِ الخامسِ والعشرين، في الحياةِ الزّوجيّة؟

23 ـ ما هيَ العواقِبُ التي يمكن الحصولُ عليها من حُسْنِ سلوكِ الإنسانِ معَ الآخرين؟ هاتِ مثالاً من أحدِ الفصلين السّادسِ والعِشرينَ أو السّابعِ والعشرين.

24 ـ في الفصلِ الثّلاثينَ نرى أنَّ الأستاذَ باير لم يَشَأْ أن يُصارِحَ جو، فيكشِفَ لها عن أمرِ ما تنشرُهُ في إحدى الصُّحفِ، مُنتظِرًا أن تبدأَ هيَ فتُخبرَهُ عن منشوراتها، لماذا كان ذلكَ منه؟

25 ـ سألَتْ جو في الفصلِ التّاسعِ والثّلاثينَ لوري وإيمي، قائلة: «كيف تتصرّفانِ عندما تستقرّان معًا؟» فأجابَها لوري: «لن نكونَ كُسالى.» هل ترى في جوابه هذا إشارةً إلى حَديثٍ سابقٍ لها مَعهُ؟ ما هوَ هذا الحديث؟

26 ـ هل أعجبَتْكَ العَلاقةُ الأُسريّةُ في هذهِ القِصّة؟

27 ـ ما العِبَرُ والفوائدُ الاجتماعيّةُ التي قدَّمَتْها هذهِ القصّة للقارئ؟

28 ـ هل تستطيعُ أن تـحدِّد الـمواقفَ الـحرجةَ في هذهِ القصّة؟ ما هيَ؟ وماذا تسمّى مثْلُ هذهِ الـمواقفِ في فنِّ القصّة؟

29 ـ في الـحياةِ العاديّة للنّاس أفراحٌ وأتراحٌ، هل كانَتْ هذهِ القصّةُ مشاكلةً للحياةِ العاديّةِ للنّاس؟ اذكُرْ بعضَ أفراحِها وبعضَ أتراحِها.

30 ـ يقالُ في القِصّةِ: إنّها واقعيّةٌ، إذا كان من الـممكن لأحداثِها أن تقَعَ في حياةِ النّاس، فهل تَعُدُّ هذهِ القِصّة واقعيّةً؟

31 ـ مكانُ الأحداثِ في هذه القِصّةِ أميركا وأوروبا، هل ترى أنّ هذه الأحداث يـمكن أن تقع في مـجتمعٍ كمجتمعنا العَرَبيِّ؟ لـماذا؟

ب ـ في الشّرح والتّفسير:

1 ـ ما مَعانـي التّعابير التّالية:

ـ هذه العبارةُ دارَتْ في خَلَدِ كُلٍّ منهُنَّ:

....

ـ لا يتعدّى مصروفُهُنَّ دولارًا واحدًا:

....

ـ نُؤثِرُ جيرانَنا على أنفسِنا:

....

ـ أخذ منها الإعياءُ كُلَّ مَأْخَذ:

....

ـ شعَرَتْ إيـمي أنَّ وراءَ الأَكَمَةِ ما وراءَها:

....

ـ تشُدُّ جو من أَزْرِ أُختِها:

....

ـ لوري وإيـمي يجذِّفان معًا في عُبابِ مياهِ الـحياةِ الـمشترَكة:

....

ـ لا نـملِكُ شَروى نقير:

....

ـ دوّارةُ الرِّيحِ لا تَعْمَلُ بلا رِياحٍ. هذا مَثَلٌ غربيٌّ، فيمَ يُضْرَب؟

....

2 ـ فسِّرْ معانـيَ الألفاظِ التّاليةِ بالاعتمادِ على أَحَدِ الـمعجمات:

التّفريط : ....

الإفراط : ....

آثَرَ : ....

إيثار : ....

أَثَرة : ....

الـحَرون: ....

يضطجع: ....

رانَ : ....

لَحوح : ....

جـ ـ في اللّغة والنّحو:

1 ـ هاتِ أضدادَ الكلماتِ التّاليةِ واضبط بالشّكل:

بذّرَ ≠	ضئيل ≠	حُبور ≠ ....
بَشوش ≠	الـحَرون ≠	تزهو ≠ ....
تعي ≠	صُلْبٌ ≠	رَفَضَتْ ≠ ....
التِواء ≠	حافلةٌ ≠	الثّراء ≠ ....

2 ـ هاتِ مرادفًا لكلٍّ مـمّا يلي واضبط بالشّكل:

يكابِدْنَ = ... حُبورٌ = ... مُفْعَمٌ = ...

لاذَتْ = ... آثَرَتْ = ... الصّارمة = ...

الأَكَمة = ... السَّكينة = ... يُفاجَأْنَ = ...

تُتاحُ = ... تَهَيَّبَ = ... التَّوقُ = ...

3 ـ اجمعْ كلاًّ من الأسماءِ التّاليةِ معَ الضَّبطِ بالشّكل:

بَيضاء ← .... الـمُهْرُ ← .... أَحْمَر ← ....

كُبرى ← .... الصّباح ← .... الـمِزاج ← ....

أَنْتِ ← .... شَكْوى ← .... عجوز ← ....

الأخرى ← .... مِنّة ← .... قَلَنْسُوةٌ ← ....

4 ـ هاتِ الـمفردَ من كلٍّ مـمّا يلي واضبط بالشّكل:

فِتْيةٌ ← .... فَتَياتٌ ← .... صِبْيةٌ ← ....

صَبايا ← .... زَرْقاوَيْن ← .... كِبارٌ ← ....

أرائِكُ ← .... حَلْويات ← .... جياع ← ....

أَسْمالٌ ← .... أجواء ← .... الـحَواني ← ....

5 ـ لـم كُتِبَتِ الهمزةُ بالطّريقةِ التي تراها في ما يلي؟

ضئيل : ....

نُرْجئ : ....

دِفْءٌ : ....

6 ـ لـمَ كُتِبَتِ الألفُ النّهائيّةُ كما تراها في ما يلي؟

بدا : ....

مشى : ....

تتمنّى : ....

7 ـ ضع خطًّا تـحت الـخطأ في ما يلي:

لا تتأخّرْ عنِ السّاعةِ الـحاديةَ عَشْرَة. لا تتأخَّر عنِ السّاعةِ الـحاديةِ عَشْرة.

مدَّ الـجَدُّ يَداهُ مرحِّبًا. مدّ الـجدُّ يَدَيْهِ مُرَحِّبًا.

إنّ الـجدّ لـم يَكُنْ سعيدًا. إنّ الـجدُّ قد كان سعيدًا.

8 ـ حوّل الضّميرَ المنفصلَ في ما يلي إلى ضميرٍ متّصل:

ـ إيّاها وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَها.

....

ـ إيّاهُما وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَهُما.

....

ـ إيّاهُنّ وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَهُنّ.

....

9 ـ أَكمِل كلاًّ منَ العبارات التّاليةِ بالطّريقة التي أُكْمِلَتْ بها الأولى منهنّ:

ـ هما صاحتا بصَوتٍ واحدٍ، وهنَّ صِحْنَ بصوتٍ واحدٍ.

ـ الشّبابُ ساروا، والبناتُ........

ـ الفِتيانُ يقومونَ بأعمالِهِمْ، والفَتَياتُ .... بأعمالِ ....

ـ أنتِ تَذوقينَ الطَّعامَ، وأنتُنَّ .... الطَّعامَ.

ـ الأمُّ تَتَمنّى لبناتِها، والأمّهاتُ .... لبناتِ ....

10 ـ أكمل كلاًّ من العبارات التّالية على طريقة الأولى منهنّ:

ـ لاق مَلْبَسُها، فمَلْبَسُها لائقٌ ....

ـ اهترأَ ثوبي، فثوبي ....

ـ استعدَّتِ الكبرى للحفلةِ، فالكبرى ....

ـ مَشَتِ الفتاةُ، فالفتاةُ ....

ـ حَيَّتْهُما السَّيِّدةُ، فالسَّيِّدةُ ....

11 ـ أعرِب ما يلي:

ـ احمرَّ وجهُ إيمي خَجَلاً.

ـ صِحْنَ بصَوتٍ واحدٍ.

ـ أليسَ الأمرُ كذلك؟

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الـمحتويات

الـمكتبة العالـميَّة للفتيان والفتيات

□ الإصدار الـجديد لسلسلة «الـمكتبة العالـمية» الشهيرة، والأكثر مبيعًا.

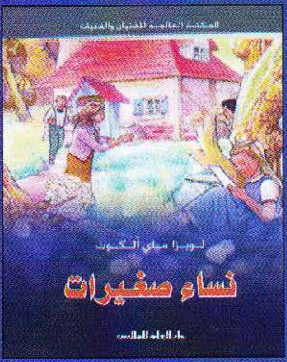
□ تُلبّي كُتُب هذه السلسلة الـمخصَّصة للمطالعة:

الـحاجات اللغوية والفكرية للفتيان والفتيات في الـمرحلتين الـمتوسطة والثانوية، وتُنمّي خيالهم.

صدر منها:

أحدب نوتردام
نساء صغيرات
كوخ العم توم
أوليڤر تويست
الزنبقة السوداء
الفرسان الثلاثة
طفل من غير أسرة
كتاب الغابة
جزيرة الدلافين
وشاح الشجاعة الأحمر
روبنسون كروزو
آخر أيام بومباي
جزيرة الكنز
البؤساء
دايڤيد كوبرفيلد
حول العالـم في ثمانين يومًا
قصة مدينتين

القلعة
مرتفعات ويذرنغ
آيڤنهو
دون كيشوت
بائعة الـخبز
كولومبا
تـمرّد على السفينة باونتي
سجين زندا
ترّاس بولبا
لورنا دون
سايلاس مارنر
الأمير السعيد وقصص أخرى
جزيرة الأولاد
الـحديقة السرية
الزلاجات الفضية
غرفة ومشهد



هذه الرواية

❖ أسرة مارش مكوّنة من أب وأمّ وأربع فتيات تتراوح أعمارهنّ بين العاشرة والسادسة عشرة، لكل واحدة منهنّ ميولها وطباعها وشخصيّتها. ما المشكلات التي واجهت هذه الأسرة حين ذهب الأب إلى الحرب، وكيف عمِلَتْ لتحيا حياة كريمة؟ ما كانت قصص هذه الأسرة على مدى سنوات عشر، وما كانت المفاجآت السارّة والمحزنة التي عاشتها؟

علي مولا

www.malayin.com

روايات عالمية 978-9953-63-699-3 06528

9 789953 636993 3

